International Journal for Scientific Research (IJSR)
المجلة الدولية للبحوث العلمية
IJSR
Vol. (5), No. (8) August 2026 الإصدار (5)، العدد (8)

اتّجاهاتُ الشّعْرِ الأندلسيّ بين طريقتي العربِ الأُوَلِ والمُحدَثينَ

جمال علي غيظان
دائرة اللّغة العربيّة وآدابها، جامعة القدس، القدس، فلسطين
jghidan@staff.alquds.edu

ملخّص

كان الأندلسيّون واعينَ بمذاهب الشعراء المشارقة وطرائقهم وأساليبهم الفنّيّة، وكانوا يدركون أنّ الشّعر العربيّ الذي وصل إليهم من المشرق يمثّلُ مذهبين أو طريقتين أو تيّارين: المذهب القديم والمذهب الحديث. وقد عاش المذهبان أو الطّريقتان أو التياران معًا في الأندلس، وربما سار المذهبان معًا في شعر الشّاعر الواحد. فجاء هذا البحث يعطي تصوّرًا حول مفهوم هذين المذهبين لدى الأندلسيين وتمثّل شعراء الأندلس مذهبي القديم والحديث في شعرهم تمثّلا واعيًا، مع غلبة المذهب القديم، والوقوف على أسباب غلبة المذهب القديم. ومن أهمّ النتائج للدراسة في هذه القضية أنّ طريقة العرب الأوائل في إنشاد الشعر كانت هي السّائدة لدى الشعراء الأندلسيين، وأنّ أهمّ الدوافع لأغلب الشعراء الأندلسيين في اتّباع طريقة العرب الأوائل هي: جهود الحكام، وأثر المؤدبين، والغناء المشرقيّ، والشعراء المشارقة، والجو السياسيّ العامّ، والنقاد. ويوصي الباحث الدارسين بمتابعة هذه القضية الأدبيّة النقديّة، ومباحثتها.

كلمات مفتاحيّة: القديم والحديث، الشعراء المشارقة، الشعراء الأندلسيّون، مذاهب الشعراء المشارقة، مذاهب الشعراء الأندلسيين.

Trends of Andalosi Poetry between Classical and Modernists Arabs

Jamal Ghidan
Department of Arabic Language and Literature, Al-Quds University, Palestine
jghidan@staff.alquds.edu

Abstract

Andalusia Arabs were well informed with the schools, styles, and trends of Oriental Arab poets. They knew that Oriental poetry represented two schools and trends: the classical school and the modern one. The two schools and trends coexisted together in Andalusia (today's Spain). They even were sometimes adopted by the same poet. Hence, this study is intended to give a clear picture of the concept of these two schools of poetry as perceived by Andalusia Arabs and it elaborates on Andalusia poets' assimilation of the two trends. And explaining the reasons for the dominance of the classical school. One of the most important findings of this study is that the early Arab style of poetry recitation was prevalent among Andalusian poets, and that the main motivations for most Andalusian poets to follow this style were: the efforts of rulers, the influence of educators, Eastern music, Eastern poets, the general political climate, and critics. The researcher recommends that scholars continue to explore and discuss this literary critical issue and its research.

Keywords: Classic vs. Modern, Oriental Poets, Andalusia Poets, Oriental Poets' Schools, Andalusia Poets' Trends.

International Journal for Scientific Research (IJSR)
المجلة الدولية للبحوث العلمية
IJSR
Vol. (5), No. (8) August 2026 الإصدار (5)، العدد (8)

مقدّمة

تفاعل الأندلسيّونَ مع ثقافة إخوانهم المشارقة، وكانوا واعين بمذاهب الأدب المشرقيّ، وبخاصّة مذاهب الشعر وطرائق الشعراء وأساليبهم الفنّيّة. فتمثّل الشعراءُ الأندلسيون طريقتي القديم والحديث في الشعر تمثّلا واعيًا، بل لقد تمثّل الشاعر نفسه الطريقتين.

وليس من السهل الفصل بين الطريقتين في شعر شاعر بعينه؛ لأنّ الشّعر موضوع وشكل، معنى ومبنى، فقد يأخذ الشاعر شكل القصيدة القديم، ويبني طريقة تصويره على طريقة محدثة، كالاعتماد على المطابقة، ورسم المتقابلات المتضادة، والإغراب في الاستعارة، كأبي تمام، أو اعتماد الطريقة التحليلية في أخذ المعنى والدوران حوله واستيفائه حتى لا يبقى فيه بقيّة لغيره، كابن الرّوميّ، أو اعتماد الصّور المستمدّة من الجواهر والأحجار الكريمة، كابن المعتزّ، وكان بعض الأندلسيّين يستوحون هذه الأساليب المشرقيّة مع تفاوت بيّن فيما بينهم (ينظر: عباس، عصر سيادة قرطبة، 2001م، ص 112-115).

والنّقد الذي دار حول أبي تمّام والبحتريّ، معركة بين الجديد والقديم في كلّ عصر، فأبو تمّام كان من المقبلين بكلّ جوارحهم على الجديد، والبحتريّ كان متمسّكًا بالقديم، لا يأخذ من الجديد إلا بمقدار (ينظر: السمرة، 1966، ص55).

فقول ابن حزم في شعر أبي الأجرب جعونة: "فهو جارٍ على مذهب الأوائل، لا على طريقة المحدثين" (ابن سعيد، 1996، 132/1، والمقري، 1968، 177/3)، وقول الزّبيديّ بأنّ مذهب عبّاس بن ناصح (-238هـ): "في شعره مذاهبُ العرب الأول في أشعارهم" (الزبيدي، 1984، ص262) (1)، وقوله بأن الرّباحيّ نظم قصيدة في الرّثاء على مذاهب العرب (الزبيدي، 1984، ص313، وابن الفرضيّ، 1988، 72/2)، وقوله في ابن عثمان الأصمّ (-335هـ) بأنّ "أكثر أشعاره على مذاهب العرب" (الزبيدي، 1984، ص 306). وقولهم إن قصيدة الزبيديّ في رثاء شيخه القالي "جزلة الألفاظ كثيرة الغريب، صاغها صوغ فحول العرب، وضمّنها قطعة من غريب كلامهم، وهي قصيدة طويلة، أوّلها (من السريع) (الثعالبي، 1993، 81/2) (2):

تالله لا يبقى لصرف النّوى ذو جسدٍ في رأس نيقٍ مُنيف"

فماذا يقصد الأندلسيّون بطريقة المحدثين وطريقة الأوائل؟ لم يكادوا يضعون فروقًا واضحة، ولكنهم كانوا في أغلب الظنّ يعنون أن شعر المحدثين "يعتمد كثيرًا على الاستعارات والتشبيهات ويشوبه أحيانا تكلّفٌ لا يخفى في طبيعة الصّياغة" (عباس، 2001، عصر سيادة قرطبة، ص43)، أو قدرة الشّاعر على هندسة الأصباغ البديعيّة، وإتقانها كمظهر من مظاهر البراعة الشاعريّة، وغرابة المعاني، بالزّيادة على المعنى المسبوق، التصوّر الناتج عن عمق التفكير، وأناقة المعنى ودقّة المغزى (ينظر: عليان، 1984، ص260-264). أما طريقة العرب الأوائل فيشير إليها مصطفى عليان بأنّ التطبيق النقديّ في الموازنات الأندلسيّة قد جرى على أغلب مفاهيم عمود الشعر العربي، من شرف المعنى وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته، والتحام أجزاء النّظم والتئامه، والإصابة في الوصف، والمقاربة في التّشبيه، والإيجاز. ومع ذلك تبقى هذه المفاهيم غير واضحة المعالم، ولـــم يصرّح ببعضها تصريحًا واضحًا (ينظر: عليان، 1984، ص247-260). وأشار ابن خاقان إلى مطابقة اللفظ للمعنى في وصف أدب ابن اللبانة بقوله: "وغدا لفظه لمعناه مطابقا" (ابن خاقان، 1989، 776/4). فالشاعر الأندلسيّ لم يلتزم مذهبًا واحدًا، وقد تكون القصيدة الواحدة من شعره تسير على الطريقتين أو المذهبين (ينظر: نجا، 1998، ص127، وعليان، 1984، ص 268).

أهمية الدّراسة

لن تنتهي الدراسات الأدبيّة والنقديّة حول الأدب الأندلسيّ؛ فهذا الأدب، وبخاصّة الشعر، هو جزء أصيل من التراث العربيّ والإسلاميّ الذي يعيش فينا ونعيش فيه. وعلى مرّ العصور وتتابع الحقب، ما يزال هذا الأدب محطّ اهتمام الباحثين على اختلاف ألسنتهم، من عرب ومن عجم. وتنوّعت الأساليب في تناوله، من جمع وشرح وتفسير وتأويل ونقد وموازنة ومقارنة، ومقاربة مذاهبه بمذاهب الشعراء المشارقة، وقد عُرف –عمومًا -مذهبان أو اتجاهان في تشكيل الشعر من حيث الشكل والمضمون والأساليب: مذهب العرب الأوائل ومذهب المحدثين. فجاءت هذه الدراسة تعطي تصوّرًا حول هذين المذهبين أو الاتجاهين لدى كثير من الشعراء الأندلسيين، وتبيّن سمات المذهبين. ينضاف إلى هذا التصوّر تفسير غلبة المذهب القديم - خاصّة-لدى أكثر الشعراء الأندلسيّين. وكلّ هذا وذاك يستند إلى أقوال النقاد والأدباء ومؤرّخي الأدب من القدامى والمحدثين،

واستنادًا إلى بعض الشواهد من أشعار هؤلاء الشعراء الذين تناولتهم هذه الدراسة.

أسئلة الدّراسة ومشكلتها

دارت الدّراسة حول الإجابة عن الأسئلة الآتية: هل كان الأندلسيّون واعينَ بمذاهب الشعراء المشارقة وطرائقهم وأساليبهم الفنّيّة؟ وكيف انتقلت هذه المذاهب إلى الأندلس؟ وهل استقلّ الشاعر بمذهب واحد من المذهبين: القديم أو الحديث؟ أو أنّه خلط بين المذهبين في شعره؟ وما السّمات والخصائص التي اتصف بها كلّ مذهب؟ وما الدّوافع التي جعلت أكثر الشعراء يميلون إلى طريقة العرب الأول في أشعارهم؟ والإجابة عن هذه الأسئلة يدعو الباحث إلى استقراء أقوال القدامى وآرائهم حول شعر شاعر بعينه، وكذلك آراء المحدثين وآرائهم، عدا الوقوف على أسباب ميل أغلب الشعراء الأندلسيّين إلى طريقة العرب الأول.

منهج الدّراسة

اتبعت الدراسة المنهج الوصفيّ، إذ تتبع الباحث أقوال العلماء القدامى والمحدثين في ما يتعلّق باتجاهات الشعراء الأندلسيين في أشعارهم، وتتبع أقوال هؤلاء العلماء الصريحة في شعر شاعر بعينه، وقرأ الباحث كلّ ما كتبه كثير من العلماء القدامى الذين ترجموا للأعلام الأندلسيين من الشعراء خاصّة، وتتبع نقداتهم، وأحكامهم النقديّة، وأثبت ما يوافق الذوق والنقد الموضوعيّ لشعر الشاعر، والاستشهاد ببعض الشعر الذي يوافق الطريقة التي اتخذها الشاعر سبيلا له. مع تحليل أهمّ الدوافع لميل الشعراء الأندلسيين إلى طريقة العرب الأوائل أكثر من طريقة المذهب المحدث. وقد فصّل الباحث القول في هذه الدراسة في أهمّ الدّوافع وراء غلبة الاتجاه القديم لدى أغلب الشعراء الأندلسيّين، ومن أهمّ هذه الدوافع: جهود الحكام، وأثر المؤدبين، والغناء المشرقيّ، والشعراء المشارقة، والجو السياسيّ العامّ، والنقاد.

الدّراسات السّابقة

من أهمّ الدّراسات السّابقة في موضوع هذه الدّراسة: دراسة جمانة رجب باشا، بعنوان: "الشعر الأندلسيّ بين طريقة العرب ومذهب المحدثين"، وهي رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة حلب سنة 1424هـ=2003م، -وأعتقد أنّها نُشرت فيما بعد -ولكنّ الباحثة لم تستقرئ كلّ المصادر والمراجع التي تناولت من قريب أو من بعيد موضوع الدراسة، عدا اختلاف التمثل بالشواهد، والآراء لكثير من الشعراء والعلماء. وإذ يثني الباحث على دراسة جمانة رجب باشا، لكن لا يوجد عمل كتابيّ يستوفي كلّ ما كُتب حول مثل هذه القضايا الشائكة، وبخاصّة القضايا الأدبيّة النقديّة، مهما بلغه الاستقراء مبلغًا كبيرًا.

أمّا دراسة غيظان، 2023م، الموسومة بالعنوان: "أثر الشعر الجاهلي في الأدب الأندلسيّ..."، وهي في الأصل رسالة دكتوراه نوقشت في الجامعة الأردنية، عام 1428هـ=2007م، فقد اقتصر غيظان في التمهيد على جزئيّة تخصّ المذهب القديم، وبعض السّمات على طريقة العرب الأوائل.

وقد وثّق الباحث في دراسته هذه من هاتين الدراستين (جمانة باشا، وغيظان)، وأفاد منهما بلا شكّ. وأفاد الباحث من غيرهما كذلك، من مؤلّفات المحدثين ودراساتهم وأبحاثهم، ووثّق لهم، ومن أهمهم: محمد عبد المنعم خفاجي، وإحسان عباس، وشوقي ضيف، وأحمد ضيف، وآنخيل بالنثيا، وخوليان ريبيرا، وهنري بيريس، وفون شاك، وإميليو غومث، وإبراهيم العكش، ويوسف الطويل، ومحمد رضوان الداية، ومصطفى عليان، وأشرف نجا، ومصطفى العيس، وجمال غيظان، وغيرهم، ممن ذُكروا في قائمة المراجع في آخر الدراسة. فلا يدّعي الباحث أنّه جاء بشيء لم يُكشف عنه الغطاء بعد.

ولكن يمكن القول بأنّ هذه الدراسة تميّزت عن غيرها بالإحاطة بتفصيلات موضوعها، وجمع مادّتها من أمّات المؤلّفات القديمة والحديثة، وتقصّي أقوال السابقين من العلماء القدامى، واللاحقين من المحدثين، عدا التمثل بالشواهد المناسبة قدر المستطاع، وتفصيل القول في أسباب غلبة الاتجاه القديم لدى أغلب الشعراء الأندلسيّين.

توجيه الذوق الأندلسيّ نحو المذهبِ المُحدَثِ:

وصل المذهب المحدث إلى الأندلس في عهد مبكّر من ظهور الشّعر المحدث في الشّرق، عن طريق الرّاحلين إلى المشرق والوافدين من المشارقة على الأندلس، ولا بأس من ذكر بعضهم في هذا المقام، فعبّاس ابن ناصح (-238هـ) التقى بأبي نواس، وروى شعره (الزبيدي، 1984، ص262-263). وقام أبو عبد الملك عثمان بن المثنّى (-273هـ) برحلة والتقى بأبي تمّام وقرأ عليه شعره وأدخله الأندلس، وكان لقي ابن الأعرابيّ، وأدّب أولاد عبد الرّحمن بن الحكم وأولاد محمّد (الزبيدي، 1984،

ص266)، كما روى مؤمن بن سعيد شعر أبي تمّام (ابن سعيد، 132/1).

وقام أبو العبّاس وليد بن عيسى الطبيخي (-352هـ) بشرح شعر صريع الغواني وأبي تمّام، وكان مؤدّبا (الزبيدي، 1984، 304). وأبو تمّام يجنح إلى غرابة المعنى، وجدّة الصّورة، والعناية بالمحسّنات.

كما ظهرت في الاتّجاه المحدث موضوعات جديدة، نتيجة التطوّر الحضاريّ (ينظر: عليان، 1984، ص36)، كوصف القصور والحدائق والأزاهير. والإكثار من الحديث في موضوعات اللهو والمجون والغــزل بالمذكّر والخمريّات. وتفرّد التيّار المحدث في الأندلس بفنيّ الموشّحات والزّجل.

وفي المذهب المحدث اتّسمت الصّورة الشعريّة بالغرابة، والغموض أحياناً، والاتّكاء على حشد التّشبيه على التّشبيه والإكثار من الاستعارة، وإن وظفوا الصّور القديمة فهم يحاولون الزّيادة عليها كقول الشّريف الطّليق، من قصيدة في وصف الورد والبهار، أوّلها:

" وكأنّ الورد يعلوه النّدى وجنةُ المعشوقِ تَنْدى عَرَقا

قال الحميريّ معقّبًا على بيت الشّريف: "تشبيه الورد بوجنة المعشوق كثير، إلا أنّه أغرب بزيادة النّدى، ومقابلته بالعرق" (الحميري، 1987، ص39). أو إضفاء شيء من الغرابة في التخيّل، فهذا الشقنديّ يثني على بعض شعر ابن الزّقّاق بقوله (المقّريّ، 1968، 199/3-200): "وهل منكم شاعر رأى الناسَ قد ضجّوا من سماع تشبيه الثغر بالأقاح، وتشبيه الزهر بالنجوم، وتشبيه الخدود بالشقائق، فتلطف لذلك في أن يأتي به في منزع يُصيّرُ خَلَقَه في الأسماع جديداً، وكليله في الأفكار حديداً، فأغرب أحسن إغراب، وأعرب عن فهمه بحسن تخيله أنبل إعراب. (من مثل قوله): المنسرح

قلنا وأين الأقاحُ قال لنا أودعته ثَغرَ مَنْ سقى القدحا"

وأحيانًا يتلاعب الشعراء بالصّورة كقلب التّشبيه مثلاً. وأما اللغة فاتّسمت غالبًا بالوضوح والعذوبة إلى حدّ وصلت في الموشّح والزّجل إلى درجة دون الفصيحة. أمّا المعاني فمالت إلى الابتكار، والغوص على المعاني ما أدّى أحياناً إلى الإحالة والغموض.

وعلى كلّ حال فإنّ معظم الشّعر الأندلسيّ يأخذ من المذهبين القديم والمحدث، بدرجات متفاوتة، مع ملاحظة أن الشّعر في عصر الولاة (92-138هـ) وأوائل عصر الإمارة (138-316هـ) كان موسومًا عمومًا بأنّه يسير على طريقة العرب الأوائل، في الموضوعات التقليديّة خاصّة، كالفخر والمديح والحماسة، متّسمًا بطابع البداوة في الموضوع والصّورة، مصطبغًا بصبغة الجزالة والقوّة في اللّغة والموسيقا (غيظان، 2023، أثر الشعر الجاهلي، ص26، هامش رقم3، وينظر: شلبي، 1982، ص 10، وسلامة، 1989، ص65-66، والأوسي، 1977، ص93-94، 112-115، 151،137-155). ومن شعراء تلك الحقبة جعونة بن الصّمّة (-قبيل 138هـ)، الّذي كان شعره جاريًا على مذهب الأوائل، وعبّاس بن ناصح (-238هـ)، وعبّاس بن فرناس (-274هـ)، وسعيد بن جودي (-284هـ). ثمّ في مرحلة تالية من عصر الإمارة، شرع المذهب المحدث يغزو البيئة الثقافيّة الأندلسيّة، وأخذ شعراء أندلسيّون في محاكاة بعض نماذجه، دون التبرّؤ من المذهب القديم. فنجد أثرًا لأساليب أبي نواس ومسلم وأبي تمّام وابن الروميّ وطرائقهم الشّعريّة في بعض أشعار الأندلسيّين، فمال بعضهم إلى وصف المنشآت والمباني، وأغرق بعضهم في المجون، وجنح البعض إلى الرّقّة، ونهج البعض إلى الإغراب، والتّوليد في المعاني والصّور. ومن هؤلاء الغزال (-255هـ) الذي طرق موضوعات المجون والخمر ووظّف لغة سهلة وبحورًا قصيرة وقوافي رقيقة، مع طبع ساخر. ونهج هذا النهج القلفاط ومؤمن ابن سعيد (-355هـ). وهؤلاء وأمثالهم عرفوا –أيضاً -بأشعارهم على طريقة العرب (ينظر: باشا، 2003، ص25-26، والأوسي، 1977، ص 123) (3).

وأخذ هذا المذهب القديم المحدث اتّجاهًا غالبًا لدى شعراء المديح خاصة، لما امتاز به من اتّباع للبناء الفنّيّ العام للقصيدة القديمة، ولما اتّسم به من الجزالة، ومن تنميق في طلب الصّورة والمعنى المولّد والزّينة البديعيّة، وتمثل شعراء كثيرون هذا المذهب مثل ابن عبد ربّه وابن شخيص (-قبل 400هـ) والرّماديّ وابن درّاج القسطليّ وابن زيدون (باشا، 2003، ص29-31، وينظر طويل، 1991، ص 12-13، وسلامة، 1989، ص 73، 263 -269).

وعلى العموم تأرجحت قصيدة المديح في الأندلس في بنائها الفنّيّ بين طريقتي القدامى والمحدثين، تجلّت آثار الأولى في المحافظة على البناء القديم والتزام أجزائه المختلفة، في حين تجلّى أثر الثانية في مضمون هذا البناء وتفصيلات إطاره (نجا،

1998، ص127).

أمّا الأعمى التّطيْليّ (-525هـ) فقد جنح إلى القديم أكثر من الحديث، فعُني بموضوع المدح التقليديّ، مع جزالة تركيبه، وكثرة الغريب في شعره، وشغف بالعناصر البدوية، واستلهام المعين الجاهليّ في الإشارات التاريخيّة والأدبيّة التي تفصح عن ثقافة واسعة بأيّام العرب وأعلامها وتاريخها (باشا، 2003، ص31).

وابن حمديس الصّقلّيّ جنح إلى موضوعات المحدثين وأساليبهم الفنية، فأسرف في وصف مجالس الشراب، ووصف الطبيعة، والتخوّف من الموت... وظهرت لديه بعض الموضوعات الجزئيّة كالفجريات، وسعى إلى طلب الصّورة وجدّتها، وإلى البديع، مع عذوبة اللّغة وسهولتها. كما نجده في الوقت نفسه يقدّم لمدائحه بمقدّمات طلليّة وغزليّة وخمريّة، ويقول في موضوعات تقليديّة كوصف الطرد والصّيد (عباس، عصر الطوائف والمرابطين، 2001م، ص159-161، باشا، 2003، ص34-35، سلامة، 1989، ص 322، 328، 329).

وابن سارة الشّنتريني (-517هـ) امتاز بمسلك محدث في استخدامه المقطوعة الشعريّة في كثير من أغراضه عدا المديح، وهو من حيث ابتكاره للتشبيهات والأوصاف يشبه ابن المعتز وابن الرّوميّ وكشاجم (الشبيبي، 1984، 96-97).

وابن خفاجة غلب على شعره وصف الطبيعة، وعُني بالصّورة، وشغف بالبديع، مع اعتماده الجزالة، وأحياناً يوشّح شعره بالبداوة (عباس، عصر الطوائف والمرابطين، 2001، ص163-167، باشا، 2003، ص 35، وسلامة، 1989، ص 337).

وابن الزّقّاق (-529هـ) نهج نهج القدامى في بناء القصيدة، خاصة قصيدة المديح، وصبغ شعره بالجزالة، وقلّة البديع، فضلاً عن الصّور المألوفة، ومع ذلك فله المقطوعات القصيرة التي بناها على مجزوءات البحور، وله في الفجريّات، والطّبيعة (27) (باشا، 2003، ص 36). كما ترعرع الموشّح والزّجل في كنف المحدثين.

وظلّ الشّعر الأندلسيّ في عصر الموحّدين وعصر غرناطة يتراوح بين المذهبين الشعريين، أو المذهب الوسط الذي يخلط بين القديم والمحدث. وظهرت بعض الموضوعات الشعريّة ظهورًا بارزًا كالاستغاثة والاستصراخ، كما برزت المعاني الصوفيّة ذات الطّابع الوجدانيّ والفلسفيّ، وكان من أبرز شعراء الشّعر الصّوفيّ ابن عربيّ (-638هـ) والشُّشْتَرِيّ (-668هـ). وتوقّد فنّ المديح النبوي، فظهرت قصائد المَوْلديات، وشهر شعراء في فنّ الموشّح كابن سهل الإشبيليّ (-649هـ) وابن زهر (-595هـ) وابن الخطيب (-776هـ) وابن زَمْرك (-796هـ). كما كلف الأندلسيّون بفنون البديع، فنظموا في دروبه، كالتّورية والتّجنيس ولزوم ما لا يلزم.

وسعى الشّاعر الأندلسيّ إلى الصّورة المولّدة كالرّصافيّ البلنسيّ (-572هـ) محاكيًا ابن الروميّ في صوره ومعانيه، كما استهوت بعض الشعراء معاني القدامى وصورهم كابن خاتمة الأنصاريّ (-770هـ) مع كلفه بالبديع (ينظر: باشا، 2003، ص 37-38).

وهكذا فإنّ الشعراء الأندلسيّين –على العموم -خلطوا بين المذاهب الشعريّة التي كانت سائدة في الشّعر المشرقيّ، هذا الخلط جعل شوقي ضيف يقول (ضيف، د.ت، الفن ومذاهبه، دار المعارف بمصر، ص 418): "ولعلّ من المهم أن نعرف أنّ الشّعر الأندلسيّ يفقد الوحدة منذ ابن عبد ربّه، إذ نجد الشّاعر الواحد يتكلّف في قطعة، ويخفف من تكلّفه في أخرى، فتحار أهو من مذهب الصانعين، أم هو من مذهب المتصنّعين، فقطعة فيها صنعة، وثانية فيها تصنّع، وثالثة فيها تصنيع، على غير نظام أو نسق معيّن؛ ولذلك كان الباحث يضطّرب في الحكم على الشاعر الأندلسيّ، فبينما يحكم عليه بأنّه من ذوق الصّانعين إذ به يجد عنده نموذجًا من ذوق المصنعين، أو المتصنعين. وكذلك الأمر إن هو حكم عليه بأحد الذوقين الآخرين".

ويقول شوقي ضيف في موضع آخر عن استعارة الشّعراء الأندلسيّين من المذاهب الشّعريّة المشرقيّة جميعًا أنّهم يستعيرون "بدون تفريق ولا اختلاف في التطبيق" (ضيف، د.ت، الفن ومذاهبه، ص431). كما يشير مصطفى عليان إلى هذا التداخل بين الطريقتين لدى الأندلسيّين، يقول (عليان، 1984، تيارات النقد، ص268): "ولا بدّ من الإشارة إلى تداخل عمود الشّعر ومذهب المحدثين عند بعض نقاد الأندلس كابن بسّام والحميريّ ... ومرد ذلك إلى ثنائيّة التذوّق الشعريّ عند النّاقد والشّاعر معاً".

طريقة العرب الأوائل:

من السّمات –عمومًا -التي تسم الشّعر بأنّه على طريقة العرب: الجزالة اللغوية والبداوة والغريب. وعلى كلّ حال كان معظم النّقاد الأندلسيّين يؤثرون المذهب القديم، فآثروا الجزالة اللّغويّة واعتمدوها محكًّا للجودة؛ فابن شهيد يقول (ابن بسام، 1979،

290/1/1): "أعطنا كلامًا يرعَى تِلاعَ الفصاحة، ويستحمّ بماء العذوبة والبراعة، شديدَ الأسر، جيّد النظام، وضَعْه على أيّ معنى شئت".

وكان المظفّر بن الأفطس ملك بَطَلْيَوْسَ، يقول: "من لم يكن شعره مثل شعر المتنبّي أو المعرّي فليسكت" لا يرضى بدون ذلك" (ابن الخطيب، 2004، ص 183-184). ولعلّه ينظر إلى شدّة أسر الكلام وفصاحته. مع أنّ له شعرًا ليّنا، وكان يصرّح بأنّ ما يمنعه من إظهار شعره أنّه لا يقول شعرًا بجزالة شعر المشارقة كأبي فراس الحمدانيّ. ومن شعر المظفّر قوله (المقّريّ، 1968، 4/466-467):

أنفتُ من المدام لأنَّ عقلي ... أعزّ عليَّ من أُنس المُدام

ولم أرتحْ إلى روض وزهر ... ولكن للحمائل والحسام

إذا لم أملك الشهوات قهرًا ... فَلِمْ أبغي الشفوف على الأنام

وابن بسّام يعتدّ بالمزاوجة بين المذهبين في اللغة: الجزالة والرّقّة، يقول عن بلاغة أهل الأندلس (ابن بسّام، 1979، الذخيرة، 14/1/1) (4): "أهل هذه الجزيرة – مذ كانوا -رؤساءُ خطابة، ورؤوس شعر وكتابة، تدفقوا فأَنْسَوْا البحور، وأشرقوا فبارَوْا الشموس والبدور، وذهب كلامُهم بين رقّة الهواء، وجزالة الصّخرة الصّمّاء، كما قال صاحبهم عبد الجليل بن وهبون يصف شعره:

رقيقٌ كما غنَّتْ حمامةُ أيكةٍ ... وجزْلٌ كما شقّ الهواءَ عقابُ"

ويمدح ابن بسّام ابن حمديس (-527هـ) في صياغة المعاني بالألفاظ الرفيعة، بقوله: "وهو شاعر ماهر يقرطس أغراض المعاني البديعة، ويعبّر عنها بالألفاظ النّفيسة الرّفيعة، ويتصرّف في التّشبيه، ويغوص في بحر الكلام على درّ المعنى الغريب" (ابن بسام، 1979، 4/1/320).

وحتّى عصر ابن خفاجة (-533هـ) كان النّقّاد لا يرضَوْن بديلاً عن الجزالة اللغوية، حتّى في الأغراض التي تتطلّب الرّقّة والعذوبة كالغزل، لذلك نجد ابن خفاجة يعترض على من جعل الفخامة والجزالة اللغويّة محكًّا للجَوْدة في كلّ الأغراض: مدح أو تغزّل، وجدَّ أو هزلَ، ويبين–مثلاً -أنّ لغة المديح تفترق عن لغة الغزل (ابن خفاجة، 1960، مقدمة ديوانه، ص 11-12).

ويتّسم بعض شعر ابن عبد ربّه (-328هـ) بالجزالة والفخامة، خاصّة شعر الحماسة الحربيّة، ووصف الرّماح والسّيوف والمعارك.

ويتّسم شعر ابن هانئ (-362هـ) بالجزالة والقوّة، وطول النّفَس، والحدّة الموسيقيّة، والأوزان الطّويلة، والقوافي الفخمة، والبداوة واستخدام الغريب، يقول من قصيدة مدح مفتتحًا بهذا الغزل (ابن هانئ الأندلسي، 1996، ص 295):

فَتَكاتُ طَـرْفِكِ أم سيوفُ أبيكِ ... وكؤوسُ خمرٍ أم مَراشفُ فيكِ

أجِلادُ مُرْهَفَةٍ وَقَتْكُ مَحـاجِـرٍ ... ما أنتِ راحمةٌ ولا أهـلوك

يا بنتَ ذا السيْفِ الطويلِ نجادُهُ ... أكَذا يجوزُ الحكمُ في نـاديكِ

قد كان يَدعوني خيالُكِ طارقا ... حتى دعـاني بالقَنا داعيكِ

عَيناكِ أم مغناكِ مَوْعِدُنا وفي ... وادي الكرى نلقاكِ أو واديكِ

ويقول (ابن هانئ، 1996، ص 41) (5):

أقول دمىً وهيَ الحسانُ الرّعابيبُ ... ومـن دونِ أستارِ القِـبابِ محَاريـبُ

نَـــوًى أبْعَدَتْ طـائيّةً ومـزارَها ... ألا كـــلُّ طائيٍّ إلـى القلْبِ محْبوب

سَلوا طَيّئ الأجبال أيـــنَ خِيامُها ... ومـــا أجَـــأٌ إلاّ حِصانٌ ويَعـــبوب
هُمُ جَنَبوا ذا القـلبَ طَـــوعَ قيادهم ... وقد يشهدُ الطِّرْفُ الوغى وهو مجنوب
وهم جاوزوا طلح الشواجن والغضا ... تخـبّ بهم جُـــرْدُ اللقاءِ السراحيب

وشعر ابن هانئ –عموما -على طريقة الأوائل، وإن جمهور شعراء عصر ابن بسّام يذهبون إلى طريقة ابن هانئ وعلى قالبه يضربون كما صرّح بذلك ابن بسام نفسه (ابن بسام، الذخيرة، 1979، 2/2/ 799).

وتقوم طريقة ابن هانئ على الجزالة وشدّة التدفّق الموسيقيّ، مع خشونة الموضوع البدويّ، مع أنه ينافي طبيعة الحضارة الأندلسيّة في عهد الطّوائف بخاصّة. ولكن مثل هذا الاتّجاه الشّعريّ جاء ردّة فعل على الإغراق في الحضارة، أو قد يكون ذلك تكاملا لتحقيق التّعادل بين منحيين متطرّفين (عباس، 2001، عصر الطوائف والمرابطين، ص 87). وعلى العموم جنح ابن هانئ في شعره نحو طريقة العرب الأول (ينظر: ضيف، أحمد، 1998، ص 197).

وابن درّاج في أغلب شعره يتّسم بالجزالة، وصياغته بالغة درجة عجيبة من القوّة، ويغرب في طلب الصّورة، وهذا يجعله يمزج بين طريقة العرب وطريقة المحدثين (عباس، عصر سيادة قرطبة، 2001م، ص241). ومن شعره -على سبيل المثال - الذي يمثل هذا الاتّجاه قوله (ابن دراج، 1961، ص299-300، وينظر: غيظان، 2023، ص 30): الطويل

ولو شاهَدَتْنِي والصَّواخِذُ تَلْتَظِي ... عَلَيَّ ورقـراقُ السّراب يَمُورُ
أُسَلِّـطُ حَرَّ الهاجِراتِ إذَا سَطَا ... عَلَى حُرِّ وَجْهِي والأَصـيلُ هَجِيرُ
وأَسْتَنْشِقُ النَّكْباءَ وَهْيَ بَوارِحٌ ... وأَسْتَوْطِئُ الرَّمْضاءَ وَهْـيَ تَفُورُ
ولِلْمَوْتِ فِي عيشِ الجبانِ تلوُّنٌ ... وللذُّعْرِ فِي سَمْعِ الجريءِ صَفيرُ
لَبانَ لَهَا أَنِّي مِنَ الضَّيْمِ جازِعٌ ... وأَنِّي عَلَى مَضِّ الخُطُوبِ صَبُورُ
أميرٌ على غَوْلِ التنائفِ ما لهُ ... إذا رِيـعَ إلا المشرفيَّ وزيـرُ

ويوصف شعر ابن عمّار في مدح المعتضد العباديّ بالجزالة وبراعة الصّقل، يقول (المقري، 1968، 655/1، وينظر: غيظان، 2023، ص 30): الكامل

عبّادُ المـخضرّ نـــائـــلُ كفّه ... والجـوُّ قد لبس الرّداء الأغبرا
ملكٌ إذا ازدحم المـلوك بمَوْردٍ ... ونَحـاه لا يَرِدُون حتى يَصْدرا
أندى على الأكباد من قَطْر الندى ... وألذُّ في الأجفان من سِنة الكرى
يختار إذ يَهَبُ الخريدةَ كـاعبًا ... والطِّرْفَ أجردَ والحسامَ مُجوهرا
قدّاحُ زَنْد المـجد لا ينفَكُّ مـن ... نار الوغى إلاّ إلـى نار القِرى

وكانت البداوة مقياسًا لوصف الشّعر بأنّه يسير على طريقة العرب، من ذلك قول أبي زيد عبد الرحمن بن مَقانا الأشبونيّ، من قصيدة في منذر بن يحيى صاحب سرقسطة، افتتحها بوصف الطّلل (ابن بسام، 1979، 788/2/2، وينظر: غيظان، 2023، ص 34): المتقارب

لمن طللٌ دارسٌ باللوى كحاشية البردِ أو كالرِّدا
رمادٌ ونؤيٌ ككحل العروس ورسمٌ كجسمٍ براهُ الهوى
غدا موسما لوفود البلى وراح مراحا لسرْبِ المها
عجبتُ لطيف خيال سرى من السّدر أنّى إليَّ اهتدى

وفي هذه القصيدة يكمل ابن مقانا صورة الطيف والغزل، ثم يمدح بالصفات المدحية المعهودة خاصة الشجاعة.

ويشيع الجو البدويّ عمومًا في افتتاحيّات قصائد المدح، وبخاصّة المقدّمة الطلليّة والظعائن. وكذلك كانت الغرابة تسم الشّعر بأنّه على طريقة العرب، إذا أحسن توظيف هذا الغريب، ولابن درّاج باع طويل في هذا الجانب، وله أسلوب خاصّ في تركيب الألفاظ والمعاني، ومن ذلك قوله (ابن دراج، 1961، ديوانه 335-336، وينظر: غيظان، 2023، ص 31) (6): المتقارب

عَلَى ذُلُلٍ من مطايا الشؤونِ قَطَعْنَ إِلَيْكَ عِقالَ الثَّواءِ
عواسِفَ يَهْمَاءَ من غَوْلِ هَمي يُقَصِّرُ عَنْها ذَمِيلُ النِّجاءِ
جَدَلْتُ أزمَّتَها من جُفُونِي وصُغْتُ أَخِسَّتَها من ذَمَائِي
وأُنْعِلُها قَرِحاتِ المآقي فأخْصِفُها بِنَجِيعِ الدِّماءِ
فَمُنْجِدَةٌ فِي مَجالِ النِّجادِ وغائِرَةٌ في غُرور الرِّداءِ

ويتّسم كثير من شعر الأعمى التُّطَيْليّ، وأميّة بن أبي الصَّلْت، وابن زيدون، في بعض شعره وفي رسائله، وبخاصّة في الرسالة الهزليّة التي يكثر فيها من ضرب الأمثال العربيّة القديمة، بالجزالة والغرابة والبداوة، وكذلك ابن شهيد في بعض شعره ونثره.

واتسمت طريقة العرب الأوائل بوضوح المعاني واعتدالها، انسجامًا مع تقاليد عمود الشعر العربيّ التي تؤثر شرف المعنى وصحته، ومجاراة للطبع السّليم الذي ينفر من التعقيد والغلو. وقد أفصح دَرْوَد عبدالله بن سليمان (-324هـ) عن تفضيله وضوح المعنى بقوله (ابن الكتاني، 1981، 116-117):

تحلَّتْ بامتداحك إذ تحلّتْ فما تركتْ لغانية حُلِيّا
معانٍ كالأهلّة لا تشكّى دُجى منها ولا تخشى خَفِيّا

ومن مظاهر طريقة العرب الاتكاء على المثل الشعريّة الأصيلة التي سادت عند الأوائل، فتغنوا بالقيم الجماليّة والخلقيّة التي شاعت في الشعر الجاهليّ، وبخاصّة في الموضوعات التقليديّة من مدح وغزل ورثاء.

وقد تمثل كثير من الشعراء الأندلسيين طريقة العرب في أغراض شعريّة معهودة كالمديح، بأن قدموا لقصائد المدح بالمقدّمات التي عرفها الشّعر الجاهليّ، ثمّ مدحوا بقيم المدح المعهودة لدى الجاهليين كذلك. وفي بعض اتجاهات الغزل، وفي جوانب من الرّثاء، وهذا ما أشار إليه ابن بسّام تعليقاً على قصيدة أبي محمد بن عبدون في الرثاء، يقول ابن بسّام (ابن بسام، 1979، 818/2/1، وينظر المراكشي، 1949، المعجب، ص 76 ، والقصيدة كاملة ص 76-87): "وهذه القصيدة طويلة، سلك فيها أبو محمد طريقته في الرّثاء إلى الإشارة والإيماء بمن أباده الحدثان، من ملوك الزمان، وقد نسق ذكرهم على توالي أزمانهم... واقتفى أثر فحول القدماء من ضربهم الأمثالَ في التأبين والرّثاء بالملوك الأعزّة، وبالوعول الممتنعة في قلل الجبال، والأسود الخادرة في الغياض، وبالنّسور والعقبان والحيّاتِ في طول الأعمار، وغير ذلك مما هو في أشعارهم موجود، فأمّا المحدثون فهم إلى غير ذلك أميل، وربّما جروا أيضاً على السنن الأولى". ويورد عبد الواحد المراكشيّ هذه القصيدة كاملة في المعجب، ويعلل سبب إيرادها بقوله: "لصحّة مبانيها، ورشاقة ألفاظها، وجودة معانيها". وامتازت الصّورة الشّعريّة حسب طريقة العرب

بالعفويّة والوضوح، وكثرة مظاهر البداوة، كقول ابن درّاج يصف رمحًا وقوسًا (ابن دراج، 1961، ديوانه، ص7، وينظر: غيظان، 2023، ص31-32): الطويل

وأَسمرَ ظمآنِ الكعوبِ كَأَنَّما ... بِهِنَّ إِلَى شُرْبِ الدماءِ غليلُ

إذا مَا هوى للطعنِ أَيقنتُ أَنه ... لصرف الرَّدَى نحو النفوس رسولُ

وَحنَّانَةِ الأَوتَارِ فِي كلِّ مهجةٍ ... لعاصيكَ أَوْتَارٌ لَهَا وَذُحُولُ

إذا نَبْعُها عنها أَرَنَّ فإنّما ... صداه نحيبٌ فِي العدى وعويلُ

ولابن درّاج من الصّور المألوفة في المدح قوله (ابن دراج، 1961، ديوانه، 23):

فَدَيْنَاكَ سَيْفاً لَمْ تَخُنْهُ مَضَارِبُهْ ... وبحرَ عَطَاءٍ مَا تَغِيضُ مواهِبُهْ

وبدرا تجَلَّى فِي سماءِ رياسةٍ ... كواكبُها آثارُهُ وَمَنَاقِبُهْ

وابن زيدون يقول في معنى خيبة الأمل (ابن زيدون، 1957، ص 383، وينظر: غيظان، 2023، ص32) (7): الطويل

وَقَد أَخلَفَتْ مِمّا ظَنَنتُ مَخايِلٌ ... وَقَد صَفِرَت مِمّا رَجَوتُ وِطابُ

ومن صور ابن زيدون البدويّة، يقول في الغزل (ابن زيدون، 1957، ديوانه ورسائله، ص 389، وينظر: غيظان، 2023، ص32) (8): الطويل

يَجولُ وِشاحاها عَلى خَيزُرانَةٍ ... وَتُشرِقُ في بَرْديتَيْن الخَلاخِلُ

وَلَيلَة وافَتنا الكَثيبَ لِمَوعِدٍ ... كَما ريعَ وَسنانُ العَشِيّاتِ خاذِلُ

تَهادى اِنسِيابَ الأَيمِ يَعفو أُثورُها ... مِنَ الوَشيِ مَرقومُ العِطافَينِ ذابلُ

أما المحسّنات البديعيّة في طريقة العرب، فجاءت عفويّة ودون تكلّف في طلبها، وكانت تخدم المعنى ولا تطغى عليه. ومن مظاهر الاتّجاه المحافظ على طريقة العرب النظم –خصوصاً في الموضوعات الجادة-على الأبحر الممتدّة ذات التفاعيل المتعدّدة، وعلى القوافي الفخمة ذات الرّنين القويّ، وطول النَفَس (ينظر: شلبي، 1982، ص255). بالإضافة إلى الجَوْدة والطّبع كما في قصيدة إدريس بن ميثم، التي أوّلها (طبقات الزبيديّ، 1984، ص 306، وينظر: غيظان، 2023، ص 32): الخفيف

في طروقِ الخَيال نحو الملمّ ... بُلْغَة من وِصَالِ من لا أُسَمّي

وقصيدته التي أوّلها (الزبيديّ، 1984، ص 307، وينظر: غيظان، 2023، ص32. والرسيس أول الهوى والحب): الخفيف

هلْ على صبابة ورسيسِ ... حَرَجُ بالبكا بِرَسْمٍ دَرِيسِ

أرجِ النّفس بالدّموع ففيها ... من جوى الشّوق راحةُ للنّفوس

وقِفِ العِيسَ تَقْضِ حقّ المغاني ... إنّ من حقها وقوف العيسِ

وكان القلفاط شاعرًا مجوّدًا مطبوعًا، وكان يقصد فيطيل ويُحسن (الزبيدي، 1984، ص 278، وينظر: غيظان، 2023 ص 32). وكان أبو حفص عمر بن يوسف الخَيْطيّ (-338هـ) شاعرًا مطبوعًا مجوّدًا، مدح عبد الرّحمن النّاصر بجملة قصائد (الزبيدي، 1984، ص305). وأبو عبيدة وقّاص كان مطبوع الشّعر غزير القول (الزبيدي، 1984، ص290). وكان أبو

إسحاق إبراهيم بن عبيد الله المعافريّ (-362هـ) شاعرًا مجوّدًا مطبوعًا (الزبيدي، 1984، ص307). وكان أبو بكر محمد بن أصبغ الكاتب شاعرًا مطبوعًا (الزبيدي، 1984، ص308. وابن قَرْلَمان فرح أبو محمد، كان مؤدّبا بالعربيّة، وشاعرًا مطبوعًا (الزبيدي، 1984، ص308). وإسحاق بن إبراهيم ابن محمّد كان شاعرًا مطبوعًا وله حظّ من بلاغة (الزبيدي، 1984، ص 309). ومنذر بن سعيد له أشعار مطبوعة (الزبيدي، (1984)، ص 295). وقبل هؤلاء كان عبد الرّحمن بن معاوية (-172هـ) "مطبوع الشعر"، ومن شعره المطبوع قوله (ابن الخطيب، 2004، ص 10):

أيّها الراكبُ الميممُ أرضي اقرَ بعضَ السّلام عنّي لبعض

إنّ جسمي كما تراه بأرضٍ وفؤادي ومالكيه بأرضِ

وكان الحكم بن هشام بن عبد الرّحمن بن معاوية (-206هـ) "على فظاظته شاعرًا مطبوعًا" (ابن الخطيب، 2004، ص17). كما أنّ ابن مَقانا الأشبونيّ "له شعر يُعرب عن أدب غزير، تصرّف فيه تصرّف المطبوعين المجيدين" (ابن بسام، 1979، الذخيرة، 786/2/2).

والعفوية والسلاسة من الطبع، فقصيدة ابن مقانا، التي أوّلها: الرمل

ألبرْقٍ لائحٍ من أندرينْ ذَرَفَتْ عيناك بالماء المعين

لعبتْ أسيافهُ عاريةً كمخاريقٍ بأيدي اللاعبين

قصيدة مشهورة تداول القوّالون أكثر أبياتها "لعفويّة ألفاظها وسلاستها "(ابن بسام، 1979، الذخيرة، 791/2/2، وينظر: غيظان، 2023، ص 33).

وثمّة عواملُ أسهمت في تعزيز الذوق الأندلسيّ نحو المذهب القديم الذي يمثل طريقة العرب الأوائل، واتخاذ هذه الطريقة نهجاً فنيًّا في أشعارهم، من حيث الموضوعات الشعريّة المطروحة، والمعاني ووضوحها، والصبغ الفنيّة واعتدالها وعفويتها، واللغة وجزالتها. والجودة والطبع والغزارة وطول النفس.

أولاً: جهود الحكّام وأثرها في تعزيز طريقة العرب الأوائل:

كان الحكّام الأوائل في الأندلس من ذوي الثقافة الأدبيّة العربيّة البدويّة، نهلوا من نبع الشعر العربيّ الأصيل، الجاهليّ والإسلاميّ (ينظر: شلبي، 1982، ص250، 252، وينظر، عليان، 1984، ص 12-14)، فعبد الرّحمن الداخل (-172هـ) له شعر يتّسم بالبداوة والأصالة، ويتضمّن معاني تقليديّة وتدفقًا موسيقيًّا على نمط بعض أشعار الجاهليين، كقوله في إعراضه عن صيد الغرانيق بعد غزوة له (ابن الأبار، 1963، الحلة، ج1، ص41):

دعني وصيد وُقَّعِ الغرانقِ فإنّ همّي في اصطياد المارق

في نفقٍ إن كان أو في حالق إذا التظتْ لوافحُ الضوائق

كان لِفَاعي ظلَّ بندٍ حافق غَنِيتُ عن روضٍ وقصرٍ شاهق

وللأمير الحكم بن هشام (الربضيّ) (-206هـ) أبيات شعريّة، تتبدى فيها صورة للفارس الجاهليّ، مع جزالة في اللفظ والتراكيب، مستوحيًا بعض صوره من البيئة الصحراويّة، يقول ابن الأبار، 1963، الحلة، 47/1-48، والأبيات الأول والثاني والرابع في المقري، 1968، 1/ 342):

رأبتُ صدوعَ الأرض بالسّيف راقعًا وقدماً لأمْتُ الشّعْبَ مذ كنتُ يافعًا

فسائل ثغوري: هل بها اليومَ ثُغْرةٌ أُبادرُها مُستنضىّ السيفِ دارعًا

وشافهْ على الأرض الفضاء جماجماً كأقحاف شِريان الهبيد لوامعا

تُنبئُكَ أنـّي لـم أكن في قِراعـــهمْ بـِوانٍ وقدماً كنتُ بالسيف قـارعا
وإنـي إذا حادوا حذارًا عـن الرّدى فلستُ أخا حَيْدٍعن الموت جـازعا
حَميْتُ ذمـاري فأنتهكْتُ ذمارهمْ ومَن لا يُحامى ظلَّ خَزْيانَ ضارعا
ولـمـا تساقـــينا سجالَ حـروبنا سقيتُهمُ سَجْـلاً مـن الموت نـاقـعا
وهل زدتُ أن وفَّيْتُهمْ صاعَ قَرْضهمْ فـــلاقَوا منايا قُدّرتْ ومصـــارعا
فهاك بلادي إنـــــني قـد تركتها مِهاداً، ولـم أترك عليها منازعا

فهذا الرأب لصدوع الأرض، وتصوير الجماجم بأقحاف شريان الهبيد، وتساقي السجال، وهذا الفخر بألوان الشجاعة، وهذه الألفاظ والصور معهودة في أشعار الجاهليين. والأمير الحكم هذا كان شغوفاً بالثقافة وجمع الكتب، وهو الذي طلب من عباس بن ناصح التوجه إلى المشرق لالتماس الكتب القديمة (ابن سعيد، 1996، المغرب، 45/1).

وكان أبو المطرّف عبد الرّحمن الأوسط (206-238هـ) "يُداخل كلّ ذي علم في فنه" (ابن سعيد، 1996، المغرب، 1/ 45)، محبّاً للعلم وأهله، "والتزم إكرام أهل العلم، وأهل الأدب والشعر في دولته وإسعافهم في مطالبهم كلها" (ابن القوطية، 1989، ص75). وكان الأمير محمّد (238-272هـ) مكرماً للعلماء (مجهول المؤلف، أخبار مجموعة، 1989، ص 129، وضيف، 1983، عصر الدول والإمارات، ص 63، 137). وكان الأمير عبدالله (275-300هـ) "متصرّفاً في فنون العلم، متحققاً بلسان العرب، بصيرًا بلغاتهم وأيامهم، حافظاً للغريب والأخبار، آخذاً من الشعر بحظ وافر" (ابن حيان، 1965، المقتبس، ص 34). وجاء حفيد الأمير عبدالله عبد الرّحمن الناصر (300-350هـ) فتزدهر الحركة العلميّة في أيامه، وكان انتدب لرعايتها ابنه وليّ عهده الحكم المستنصر، وكانا يكرمان العلماء خاصّة القادمين من الشرق (ينظر: الضبّيّ، 1989، بغية الملتمس، 40/1، أمين، 1962، 3/ 24-25، 229، ضيف، عصر الدول والإمارات، 1983، ص 63-64، ابن درّاج القسطليّ، 1961، تصدير المحقق الطّاهر مكّيّ، ص33-35، شاك، 1991، 1/ 58-61، سلامة، 1989، ص 22،21، 46، شلبي، 1989، ص 83-84، وخلف الله، 1953، ص148،146).

والحكم المستنصر يوجه عنايته الكبيرة إلى جمع الثقافة المشرقية، ويستقدم العلماء ومؤلفاتهم؛ وكان نظّارا في الكتب، كثير التعليق عليها وبخطه هو، ويذكر أنساب الرواة لهذه المؤلفات (ابن الأبّار، 1963، 200/1–201)، وكان يغري العلماء المشارقة بالقدوم إلى الأندلس، أو إرسال مؤلّفاتهم، فقد بعث لأبي الفرج الأصفهانيّ ألف دينار ذهبًا ليرسل إليه نسخة من الأغاني، فبعث أبو الفرج بنسخة منقّحة للحَكَم، قبل أن يظهر الكتاب في العراق (ابن الأبّار، 1963، 201/1-202، وابن خلدون، تاريخه، 1958، 317/4/1). وكان أبو الفرج جمع في كتابه "أخبار العرب وأشعارهم وأنسابهم وأيامهم ودولهم، وجعل مبناه على الغناء ...ولا يعدل به كتاب في ذلك...وهو الغاية التي يسمو إليها الأديب ويقف عندها، وأنى له بها "(ابن خلدون، مقدمته، د.ت، 1278/3، ويقول ابن خلدون في موضع آخر من مقدمته: "فلا كتاب أوعب منه لأحوال العرب"، 1295/3). "والحقّ أنّ كتاب الأغاني استطاع بمحتواه شعراء وموسيقا أن يستحوذ على أذواق الأندلسيين... وترك أثرًا قويًّا عميقاً في الأوساط الأدبيّة" (بيريس، 1988، ص 36)، ولما يحوي من مجموعة ضخمة من أخبار التاريخ العربيّ وأخبار الأدب والنقد والشعراء قبل الإسلام وبعده، واعتمد أبو الفرج في تأليف موسوعته هذه على كثير من المصادر التاريخية والأدبيّة (ينظر: سلوم، 1969، ص 178-192، والعمير، 1969، ص705).

وكذلك استقدم الحَكَمُ أبا عليّ القالي الذي كان له الأثر الواضح في تربية الذوق الأندلسيّ على طريقة العرب الأول (ينظر: غيظان، 2020، ص24-). وكان القالي قد أهدى أماليه إلى الحكم. وقد أشاد القالي في مقدّمة أماليه بالحكم المستنصر (ينظر: القالي، د.ت، 3-2/1). والأمالي يحوي أدبًا مشرقيًّا من العصر الجاهليّ والإسلاميّ، وأخبارًا ونوادر وأمثالاً وحكمًا.

وكان الحكم يبعث بالرسل والورّاقين إلى المشرق، ليجمعوا له الكتب، وكان من ورّاقيه في بغداد محمد ابن طرّخان، حتى قيل إنّ عدد الكتب التي جمعها الحكم أربعمئة ألف مجلد، صنع لها الفهارس، حتى قيل إنّها بلغت أربعًا وأربعين فهرسة في كلّ

واحد خمسون ورقة (ابن حزم، 1962، جمهرة أنساب العرب، ص 100، ابن الأبار، 1963، الحلة السيراء، 202/1 -203، صاعد، 1993، ص 75، وينظر: ضيف، أحمد، 1998، ص 20-21، وريبيرا، د.ت، ص 194). ويقول ابن خلدون: "اجتمعت بالأندلس لعهده خزائن من الكتب لم تكن لأحد من قبله ولا من بعده" (ابن خلدون، تاريخه، 1958، 1/ 317/4). وكان يعمل في مكتبة القصر، دون توقف، أمهر المجلّدين في الأندلس، إلى جانب آخرين جيء بهم من صقلية وبغداد، ومعهم جمهرة من الفنانين: رسامين، ومزوقين، يزخرفون الكتب بالصور، بعد أن نسخها أدقّ الخطاطين، لتقديمها إلى لجنة من كبار العلماء تقوم بمعارضتها وتصحيحها (ريبيرا، د.ت، ص 191)، فكان يخصص جانبًا من دار الملك يجلس فيه العلماء للتأليف ومقارنة النسخ الوافدة من المشرق (الحميدي، 1951، 47 -48، تاريخ ابن خلدون، 1958، 317/4/1، وينظر: عباس، 2001، عصر سيادة قرطبة، 2001م ، ص 60-61، وينظر ريبيرا، د.ت، ص 192). كما كان له باع طويل في إنشاء الكتاتيب لتعليم العامّة. ويؤثر عنه أنه أنشأ بقرطبة سبعة وعشرين كتّابًا في عهده، واتخذ المؤدبين يعلمون أولاد الضعفاء والمساكين (ابن عذاري المراكشي، 1980، البيان المغرب، 240/2) (9). وكان معلم الكتاتيب يُسمى مؤدّبًا (ضيف، 1983، عصر الدول والإمارات، ص61).

ونجد كثيرًا من العلماء الذين عنوا بالثقافة المحافظة يرفعون مؤلفاتهم لحكامهم احترامًا وتقديرًا لذوق هؤلاء الحكام المحافظ. وهذا كتاب الحدائق لأحمد بن فرج الجيّاني، الذي ألّفه للحكم المستنصر (حكم 350-366هـ)، عارض به كتاب الزهرة لابن داود البغداديّ، والزبيديّ ألّف طبقات النحويين واللغويين بأمر من الحكم (الزبيدي، 1984، ص 17، الضبي، 1989، 194/1). والأعلم الشّنتمريّ يرفع شرحه لأشعار الستة الجاهليين للمعتمد بن عباد (ينظر: طرفة، 2000، مقدمة الأعلم، ص21). وقدّم له كذلك شرحه لحماسة أبي تمام (المرزوقي، 1991، ينظر مقدمة شرح حماسة أبي تمام، ص37-38).

وكان بعض السّلاطين والقادة يشجّعون الشّعراء على معارضة الشّعر المشرقيّ الذي يسير في بنائه العام على نهج البناء القديم للقصيدة؛ فهذا المنصور بن أبي عامر يطلب من صاعد اللغويّ معارضة رائية أبي نواس "أجارة بيتينا..." (ينظر: ابن بسام، 1979، 22/1/4، عارضها بقصيدته "خِذَالَ البُرى إني بكنّ بصير") ذات المقدّمة الغزليّة كما طلب من ابن درّاج بمعارضة القصيدة نفسها (ابن دراج، 1961، ديوانه، التصدير، ص 47، وينظر: شاك، 1991، 1/ 61، وينظر في أثر التوجيهات النقدية: عليان، 1984، ص14، 73، 78، 80). والمنصور كان مكرمًا للعلماء الوافدين من المشرق، واحتفل بقدوم صاعد الذي ألّف له كتاب الفصوص على شاكلة أمالي القالي.

وعندما استحسن المعتصم بن صُمادح شعرًا للنابغة الجعديّ غُنّي به في أحد مجالسه:

"ولـما نزلنا بِجسر النتاج ولم نعرف الحيَّ إلا التماسا

أضاءت لنا النارُ وجها أغرَّ ومُلتبِسا بالفؤاد التباسا

طلب من ابن الحدّاد معارضته، فقال: (ابن خاقان، 1989، 151/1-152، ابن حداد، 2003، ص 225) (10).

إذا ما التَمستَ الغنى بابن معن ظفرتَ وأحمدتَ منه التماسا

ومن يرجُ شمس العلى من تُجيبٍ فليس يرى مِنْ رجاء شِماسا"

وعلى كلّ حال استمرّت العناية بالعلم وأهله، وبالثقافة المشرقيّة خاصّة في عصر الطوائف إذ يُعدّ من أزهى الحقب في تاريخ الأندلس، ونذكر ممن ساهم في توطيد دعائم طريقة العرب الأول: دولة بني عبّاد في إشبيلية، فكان المعتضد شاعرًا وكذلك المعتمد الذي في "أيامه نفقت سوق الأدباء" (ابن الأبّار، 1963، الحلة، 55/2، وينظر: المراكشي عبد الواحد، 1949، المعجب، ص 101)، وتجمع من حولهما أعظم شعراء العصر من أمثال ابن زيدون وابـن عمّار وابن اللّبّانة وابن حمديس وابن وهبون وغيرهم، "فحظ إشبيلية مثل حظ قرطبة في عصر الخلافة الأمويّة السابقة" (عباس، 2001، عصر الطوائف والمرابطين، ص61). ودولة بني الأفطس في بطليوس، وكتاب المظفّريّ للمظفّر بن الأفطس الذي كان على غرار عيون الأخبار لابن قتيبة، دليل على الثقافة الموسوعيّة المحافظة، بالإضافة إلى دويلات أخرى عُني أمراؤها بالثقافة المحافظة وإكبار طريقة العرب الأوائل في الشعر خاصة (ينظر: المراكشي، عبد الواحد، 1949، المعجب، ص 75، أمين، 1962، 3/ 10–11، وضيف، أحمد، 1998، ص15، ضيف، 1983، عصر الدول والإمارات، ص 67-69، شاك، 1991، 1/61-62).

وكانت علوم العربيّة من نحو وشعر مقدَّمة عند هؤلاء الحكام والأمراء، لذا أضحى الناس يحرصون على إتقان مثل هذه العلوم وإلى عصور متأخرة، يقول المَقَّرِيّ، واصفاً عصر الملثمين (المقري، 1968، 1/ 221-222، ضيف، 1983، عصر الدول والإمارات، ص 95-98): "والنّحو عندهم في نهاية من علوّ الطبقة، حتى إنّهم في هذا العصر فيه كأصحاب عصر الخليل وسيبويه، لا يزداد مع هَرَم الزمان إلا جِدّةً، وهم كثيرو البحث فيه وحفظ مذاهبه كمذاهب الفقه، وكل عالم في أيّ علم لا يكون متمكناً من علم النحو -بحيث لا تخفى عليه الدقائق -فليس عندهم بمستحق للتمييز، ولا سالم من الازدراء...وعلم الأدب المنثور من حفظ التاريخ والنظم والنثر ومستظرفات الحكايات أنبل علم عندهم، وبه يتقرب من مجالس ملوكهم وأعلامهم، ومن لا يكون فيه أدب من علمائهم فهو غفلٌ مستثقلٌ. والشعر عندهم له حظ عظيم، وللشعراء عند ملوكهم وجاهة، ولهم عليهم وظائف، والمجيدون منهم يُنشدون في مجالس عظماء ملوكهم المختلفة، ويوقّع لهم بالصلات على أقدارهم... وإذا كان الشخص بالأندلس نحويّاً أو شاعراً فإنّه يعظم في نفسه لا محالة".

وإذا كانت هذه الحال كما وصفها المقري في عهد المرابطين، فقد كانت كذلك قبل ذلك بكثير، في بداية عصر الإمارة، فقد أصدر هشام بن عبد الرحمن أمره بأن تكون اللغة العربيّة الفصيحة هي اللغة الرسميّة للبلاد؛ لذلك أقبل الخاصّة والعامّة على دراسة علوم العربيّة حتى النصارى أقبلوا عليها بنهم، ولا أدلّ على ذلك من شكوى أَلْبَرُو القرطبيّ من إقبال الشبّان الإسبان على تعلم علوم العربيّة وانصرافهم عن لغتهم الأمّ، يقول هذا القسيس (بالنثيا، 1955، ص485-486، وينظر: شاك، 1991، 1/ 75): "إنّ إخواني في الدّين يجدون لذّة كبرى في قراءة شعر العرب وحكاياتهم ... وأين تجد الآن واحدًا من غير رجال الشروح اللاتينية التي كتبت على الأناجيل المقدسة؟... يا للحسرة! إنّ الموهوبين من شبان النصارى لا يعرفون اليوم إلا لغة العرب وآدابها، ويؤمنون بها ويقبلون عليها في نهم ...فلا تكاد تجد بين الألف منهم واحدًا يستطيع أن يكتب إلى صاحب له كتابًا سليمًا من الخطأ. فأمّا عن الكتابة في لغة العرب فإنّك واجد منهم عددًا عظيمًا يجيدونها في أسلوب منمّق، بل هم ينظمون من الشعر العربيّ ما يفوق شعر العرب أنفسهم فنّاً وجمالاً".

وحَرَص الحكام على اقتناء المكتبات، ما شجّع العلماء والخاصّة من عموم الناس، وحتى عامّة الناس ممن ليسوا من هؤلاء، حرصوا على اقتناء الكتب، وأنشأوا أمكنة خاصّة لها في بيوتهم. وشهرت قرطبة بكثرة مكتباتها. فكان أهل قرطبة يتفاخرون بأصالة البيت وبالجنديّة وبالعلم. وقرطبة أكثر بلاد الأندلس كتبًا، وأشدّ الناس اعتناء بخزائن الكتب، "صار ذلك عندهم من آلات التعيين والرّياسة، حتى إن الرئيس منهم الذي لا تكون عنده معرفة يحتفل في أن تكون في بيته خزانة كتب، وينتخب فيها ليس إلاّ لأن يقال: فلان عنده خزانة كتب، والكتاب الفلانيّ ليس هو عند أحد غيره، والكتاب الذي هو بخط فلان قد حصّله وظفر به" (المقري، 1968، 1/462-463).

ويروي المقري في النفح قصّة تدلّ على اهتمام العامّة بجمع الكتب، يقول (المقري، 1968، 1/463): "قال الحضرميّ: أقمت مرّة بقرطبة، ولازمت سوق كتبها مدة أترقب فيها وقوع كتاب كان لي بطلبه اعتناء، إلى أن وقع وهو بخطّ جيّد وتسفير (تجليد) مليح، ففرحت به أشدّ الفرح، فجعلت أزيد في ثمنه، فيرجع إليّ المنادي بالزيادة عليّ، إلى أن بلغ فوق حدّه، فقلت له: يا هذا أرني من يزيد في هذا الكتاب حتى بلّغه إلى ما لا يساوي، قال: فأراني شخصاً عليه لباس رياسة، فدنوت منه، وقلت له: أعز الله سيّدنا الفقيه، إن كان لك غرض في هذا الكتاب تركته لك فقد بلغت به الزيادة بيننا فوق حدّه؛ قال: فقال لي: لست بفقيه، ولا أدري ما فيه، ولكنّي أقمت خزانة كتب، واحتفلت فيها لأتجمّل بها بين أعيان البلد، وبقي فيها موضع يَسَع هذا الكتاب، فلمّا رأيته حسن الخط جيّد التجليد استحسنته، ولم أبال بما أزيد فيه، والحمد لله على ما أنعم به من الرزق فهو كثير؛ قال الحضرميّ: فأحرجني، وحملني على أن قلت له: نعم لا يكون الرزق كثيراً إلاّ عند مثلك، يعطى الجوز من لا عنده أسنان، وأنا الذي أعلم ما في هذا الكتاب، وأطلب الانتفاع به، يكون الرزق عندي قليلاً، وتَحُول قلّة ما بيدي بيني وبينه".

وفي رواية أخرى للمقري تدلّ على اختصاص قرطبة بالكتب والمكتبات، يقول (المقري، 1968، 1/463): "قال ابن سعيد: وجرت مناظرة بين يدي منصور بني عبد المؤمن بين الفقيه العالم أبي الوليد بن رشد والرئيس أبي بكر بن زهر، فقال ابن رشد لابن زهر في كلامه: ما أدري ما تقول، غير أنّه إذا مات عالم بإشبيلية فأريد بيع كتبه حُملت إلى قرطبة حتى تباع فيها، وإذا مات مطرب بقرطبة فأريد بيع تركته حملت إلى إشبيلية".

وكانت المكتبات متوافرة، وبدرجة أقلّ، في إشبيلية، والمرية، ومالقة، وبطليوس، وطليطلة، وسرقسطة، وبلنسية، وغرناطة. ولا أدلّ على ضخامة عدد الكتب في الأندلس مما روي عن الكردينال كمنيس عندما دخل غرناطة سنة 1499م أنه أمر بحرق الكتب العربيّة، فكان ما أحرق من الكتب ما يقرب المليون كتاب أو يزيد، وهو رقم يصل إلى ما أغرقه هولاكو في دجلة

والفرات، فكم لاقى الكتاب العربيّ من أهوال على يد الرعاع! (البيومي، 1980، ص 233، وينظر: ريبيرا، د.ت، ص201-204، 211-229، وخفاجي، 1956، ص63-64، ودياب، د.ت، ص30-33 ،98-،108-،111-، العكش، 1986، ص68-72-). وعلى العموم غلبت مؤلفات المشارقة القديمة على محتويات هذه المكتبات (عباس، 2001، عصر الطوائف والمرابطين، ص 46، 47).

ثانيًا: المؤدّبون:

كان للمؤدّبين (ينظر عن المؤدبين والتأديب وأثره في نشر طريقة العرب: ضيف ، عصر الدّول والإمارات، 1983، ص62، 106، 108، عليان، 1984، ص14-18، 50-51) أثر واضح في توجيه الذوق الأندلسيّ نحو طريقة العرب الأوائل؛ وكان كثير منهم قد رحل إلى المشرق، ولا بأس من ذكر بعضهم في هذا المقام، فالغازي بن قيس (-199هـ) رحل إلى المشرق، وأوّل من أدخل الأندلس موطأ مالك، وأدرك من رجال اللغة الأصمعيّ ونظراءه، وكان ملتزمًا للتأديب بقرطبة أيّام أبي المطرّف عبد الرّحمن بن معاوية (الداخل) (-172هـ)، واستأدبه هشام بن عبد الرّحمن الداخل (-180هـ) والحكم ابن هشام بن عبد الرّحمن الدّاخل (-206هـ) لأبنائهما، وفي ظنّ الزّبيديّ أنه أدّب ولدَ عبد الرّحمن بن معاوية (الزبيدي، 1984، ص254-255). ومحمد بن عبدالله بن الغازي (-296هـ) – حفيد الغازي -رحل إلى الشرق والتقى الرّياشيّ وأبا حاتم، وأخذ عنهما، وأدخل إلى الأندلس علمًا كثيرًا من الشّعر والعربيّة والأخبار، وعنه روى المشايخ الأشعار المشروحات كلها (الزبيدي، 1984، ص267). وأبو موسى الهوّاريّ أوّل من جمع الفقه في الدِّين وعلم العرب بالأندلس، ورحل إلى المشرق ولقي مالكًا ونظراءه والأصمعيّ وأبا زيد الأنصاريّ (-215هـ) ونظراءهما، وداخل الأعراب في محالّها (الزبيدي، 1984، ص253). ومحمّد بن عبد السّلام الخشنيّ كان عالمًا بكلام العرب، رحل إلى المشرق، ولقي المازنيّ والرّياشيّ وأبا حاتم (الزبيدي، 1984، ص268). وأحمد بن نعيم الذي جمع إلى العلم بالعربيّة صناعة الشّعر وحظًّا من البلاغة، وكان مؤدّبا بجيّان وطليطلة (الزبيدي، 1984، ص265).

وأخذ أبو عبدالله محمد بن إسماعيل (الحكيم) (-331هـ) عن محمّد بن عبدالله الغازي المذكور آنفاً "ما جلبه من الأشعار المشروحة رواية عنه، وسماعاً عليه"، "وأنجب على يديه جملة من المؤدَّبين والشّعراء والكتّاب" (الزبيدي، 1984، ص277). وأدَّبَ الحكم المستنصر بالله (الزبيدي، 1984، ص278).

وكان أبو المطرّف عبد الرّحمن بن محمّد بن عثمان، (الأصمّ) (-335هـ) نحويًّا لغويًّا فصيح اللّسان وشاعرًا مجوّدًا، وأكثر أشعاره على مذاهب العرب، وله أراجيز فصيحة، كانت له رحلة إلى المشرق سنة 304هـ (الزبيدي، 1984، ص306).

وعبّاس بن ناصح الجزيريّ كان شعره يجري على مذاهب العرب الأول، وكان حريصًا على كشف من نجم في الشّعر بعد ابن هرمة (الزبيدي، 1984، ص262، وهو نفسه الذي ارتحل إلى بغداد لمقابلة أبي نواس، ص262-263). ولعبّاس بعض المقطوعات الشعريّة التي تجلّت فيها ملامح الاتّجاه المحافظ في البناء الفنيّ العام للقصيدة والصّور البدويّة والألفاظ الجزلة، والتراكيب المنتقاة، من مثل قوله، في قصيدة يمدح الحكم بن هشام، مفتتحاً قصيدته بمقدمة غزلية (المقري، 1968، 130/2):

تململت في وادي الحجارة مسهرا أراعي نجوماً ما يردن تغوّرا

إليك أبا العاصي نضيت مطيّتي تسير بـهم سارياً ومهجّرا

وكان ابن أبي بكر محمد بن أصبغ الكاتب شاعرًا مطبوعًا سهل الكلام سبط اللفظ (الزبيدي، 1984، ص308). ومنذر بن سعيد البلوطيّ القاضي (-355هـ) له خطب عجيبة، ورسائل بيّنة، وأشعار مطبوعة (الزبيدي، 1984، ص295). وأبو الأصبغ عيسى بن أبي جرثومة كان مطبوع الشّعر غزيره، وكان يؤدّب بالنّحو والحساب والعروض والقرآن (الزبيدي، 1984، ص291). والقلفاط أبو عبد الله محمّد بن يحيى بن زكريا (-330هـ) كان بارعًا في علم العربية، حافظًا لها مقدّماً فيها، وشاعرًا مجوّدًا، مطبوعًا، يقصّد فيطوّل ويُحسن (الزبيدي، 1984، ص278. وأبو عبد الله محمّد بن يحيى بن عبد السّلام الأزديّ الرّباحيّ (-358هـ) الذي رحل إلى المشرق، فلقي أبا جعفر النّحّاس وحمل عنه كتاب سيبويه رواية، ولقي غيره، وقدم قرطبة فلزم التّأديب بها في داره (الزبيدي، 1984، ص310-311). وله قصيدة رثى بها أحمد بن موسى ابن حدير؛ بناها على مذاهب العرب وخرج فيها عن مذاهب المحدثين، وكان أبو إسماعيل بن القاسم (القالي) شديد الإعجاب بها، كثير الثناء عليها، وفي هذه القصيدة يقول (الزبيدي، 1984، ص 313، وينظر: غيظان، 2023، ص27، وغيظان، 2020): الرجز

سائل بطسم والذين قبلهمْ والحضْر والحَيّ الجِلال من سَبَا

وله قصائد مطوّلات، منها القصيدة المطوّلة التي بعثها للزبيديّ وصاحبه، يقول في أوّلها (الزبيدي، 1984، ص 313، وينظر غيظان، 2023، ص 27):

خليليّ من فرعَيْ زُبيدِ بن مذحجٍ قفا واسمَعا قد يسعِد الشّجنَ الشّجِي

ألـــــم تعلما أنّي أرِقْتُ وشاقني خيـــال سرى وهْنًا ولـما يُعرِّجِ

وقصيدة أخرى أولها (الزبيدي، 1984، ص 313، وينظر: غيظان، 2023، ص27):

يـا خليليّ عَرّجا بـمحبٍّ هيضَ سقْمًا فما يريم الفِراشا

استأدبه عبد الرحمن الناصر لولده أبي المغيرة، ثم صار بعد ذلك إلى خدمة الحكم المستنصر في مقابلة الدّواوين والنظر فيها (الزبيدي، 1984، ص 314).

ومن خلال الوصف لشعر هؤلاء، والاطّلاع على النتف التي وصلتنا من شعرهم يتّسم شعرهم بالوضوح وعدم الغوص في المعاني، والإقلال من التّصوير، والبعد عن الصّقل والتّجويد.

وتبدو سمة المحافظة على بناء الهيكل العام للقصيدة واضحة من خلال خبر لقاء عثمان بن المثنى النحويّ أبا تمّام، فحكي "أنّ عثمان بن المثنى (الأندلسيّ) جمعه مركب في بحر القلزم مع حبيب ابن أوس أبي تمّام الطائيّ، فأنشده شعره الذي يقول فيه:

الله أكبر جاء أكبر من مشى فتعثرت في كنهه الأوهام

وكان هذا البيت مبتدأ الشعر. فقال له ابن المثنى: شعر حسن، لولا أنّه لا ابتداء له، فوقدت في نفس حبيب وابتدأ الشعر بقوله:

دِمَنٌ أَلَمَّ بها فقال سلامُ كـم حـــلَّ عـقـدة صـبره الإلـمـام

ثم أنشده في اليوم الثاني الشّعر بهذا الابتداء إلى تمامه، فقال له ابن المثّنى: أنت أشعر الناس. فعظم في نفس حبيب، ثم لقيه في انصرافه، وحبيب قد عظم قدره، وجلّ خطره، فكان يؤثره، ويعرف له فضله وكان أوّل من أدخل شعره" (ابن الأبار، 1956، التكملة، 1/ 10-11).

وهذا ابن حمدين المشهور بثقافته وعلمه يستنكر على الشّاعر هلال البياني دخوله إلى المدح من غير تمهيد، ويعيب وثوبه عليه من أول وهلة (المقري، 1968، 538/3).

وكان لهؤلاء المؤدّبين تأثير بالغ في تلامذتهم وتوجيههم نحو طريقة العرب الأول، إذ كانوا يحفظون من الشعر العربيّ القديم الشيء الكثير، ويحفظونه للمتأدبين، فقد "كان حفظ الأشعار العربيّة وعلم معانيها ومعرفة ما فيها من خبر ولغة وأغراض بلاغيّة وميزات فنيّة جزءًا هامّاً يُقرر على الطلبة في حلقات الدّرس، ويأخذ الدّارس به نفسه من حفظ وفهم ودراية" (الداية، 1981، ص71).

وكان من مهامّ هؤلاء المؤدّبين شرح الشعر العربيّ القديم ومن ضمنه الشّعر الجاهليّ، وقد عرف الأندلس من عني بشرح الشعر المشرقيّ وضبطه وجمعه والتثبت من روايته وتدريسه، ما أثّر في ميل الأندلسيين إلى طريقة العرب (الداية، 1981، ص71، وص91، وينظر: عيسى، 1982، ص 315، 369).

وكان للوافدين على الأندلس أثر كبير في نشر طريقة العرب الأوائل، وبثّ نزعة التقليد لثقافة المشرق المحافظة؛ إذ كان منهم من عمل مؤدّبًا أو كان مدرّسًا، والقالي وصاعد خير شاهد (ينظر: غيظان، 2020، ص17-77). فقد "انتشر علمهما بين تلاميذهما، ومن تلاميذهما إلى تلاميذهم، وهكذا، وكانا أوّل من وضعا أساس الثقافة المشرقيّة في الأندلس في اللغة والأدب" (أمين، 1962م، 3/22-23).

ولا ننسى دور النساء الأديبات المدرّسات اللواتي كنّ يحترفن تدريس الأدب (ينظر: ابن بشكوال، 1994، الصلة، 653/2-658). وذكر الضبي في البغية جملة منهن مثل نزهون الأديبة، ولبنى (-374هـ) كاتبة الحكم وهي شاعرة وعروضية وحاذقة في الكتابة (الضبي، البغية، 1989، 732/2)، والحاجة مريم بنت أبي يعقوب الأديبة الشاعرة التي كانت تعلم النساء الأدب، وشهرت بعد الأربعمئة، (الضبي، 1989، 729/2، وينظر: أمين، 1962، 228/3-230). وشهرت قرطبة بعدد كبير ممن يكتبن المصاحف بالخطّ الكوفيّ (المقري، 1968، 290/4). وكنّ مؤدّبات بجانب المؤدّبين (ضيف، 1983، عصر الدول والإمارات، ص70)، وكانت نظام كاتبة بقصر الخلافة أيّام هشام المؤيّد (366-399هـ) وكانت أديبة بليغة تحسن تحبير الرسائل (ينظر ضيف، 1983، عصر الدول والإمارات، ص71).

وابن حزم صاحب طوق الحمامة يشير إلى دور الجواري في القصور في تربية النشء، يقول (ابن حزم، 2003، طوق الحمامة، ص62): "إنني رُبّيتُ في حجورهنّ، ونشأت بين أيديهن، ولم أعرف غيرهن، ولا جالست الرجال إلا وأنا في حدّ الشباب، وحين تبقّلَ وجهي، وهنّ علّمنني القرآن، وروّينني كثيرًا من الأشعار، ودرّبنني في الخط".

وإشراق السويداء العروضيّة (-في حدود 450هـ)، كانت تحفظ الكامل للمبرّد والنّوادر للقالي وتشرحهما. قال أبو داود سليمان بن نجاح المقرئ: قرأت عليها الكتابين، وأخذت عنها العروض (المقري، 1968، نفح الطيب، 171/4، وينظر: السيوطي، 1979، 458/1). وكان بعضهن يرحل إلى المشرق وأخذ الإجازات (ريبيرا، د.ت، 161-163).

واستطاع المؤدّبون أن يدفعوا الناشئة لدراسة الأدب الجاهليّ والإسلاميّ والعباسيّ شعرًا ونثرًا. ويبدو أنهم ظلّوا يكتفون بكتابات الجاحظ والمبرّد وابن قتيبة، وأضرابهم من أصحاب الاتّجاه العربيّ في البلاغة (ضيف، 1983، عصر الدول والإمارات، ص 98، 100).

ثالثاً: الغناء المشرقيّ:

الأمّة العربيّة عمومًا أمّة طَروب، شهرت بحبّ الغناء وسماع الألحان، ولا أدلّ على ذلك من كثرة المغنّيات وأسماء آلات الطّرب، وصور مجالس الغناء في الشّعر الجاهليّ، وبخاصّة لدى الأعشى صنّاجة العرب، الّذي وصفه أستاذنا الدكتور ناصر الدين الأسد بأنّه "أكبر شعراء القيان والغناء في الجاهليّة" (الأسد، 1988، ص219). ولعلّ أقلّ أثر للغناء يمكن أن يكون في حفظ الشعر وروايته، وسيرورته بين الناس (الأسد، 1988، ص211).

وكان الأندلسيّون مولعين بالغناء، فاستقدموا المغنّيات المشرقيّات (أمين، 1962، 229/3، ضيف، أحمد، 1998، ص33-، وعليان، 1984، ص19-20)، فعبد الرّحمن الدّاخل استقدم العجفاء وفَضْل وعَلَم (المقري، 1968، نفح الطيب، 140/3-141)، والحكم كانت له عناية بجواريه المغنّيات.

ومن الطّريف أنّ أشعار العرب القدامى أكثر من الشعر المحدث تلحينًا وغناءً، فعلى سبيل المثال كانت الأصوات التي غنّاها جواري الحكم بن هشام (180-206هـ) وابنه المغيرة: أربعة أصوات في شعر ابن الروميّ، وصوتان في شعر جرير، والقطاميّ، وذي الرّمّة، وعمر بن أبي ربيعة، وأبي تمّام، وصوت في شعر عروة بن حزام ونصيب، والبحتريّ، والفرزدق، ومسلم، وابن الدّمينة، والحطيئة، والمسيّب بن علس، والصّمّة القشيري، وأبي دهبل الجمحيّ، وكانت بعض هذه الأصوات تُغنّى في المشرق (عباس، 2001م، عصر سيادة قرطبة، 49). ولا ننسى أثر كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهانيّ في حركة الغناء عمومًا، وإشاعة أخبار المغنين المشارقة، إذ اعتمد مرويّات إسحاق الموصليّ لا سيّما في الأصوات المئة، التي تمثلت الشعر الجاهليّ كثيرًا (الأصفهاني، 1969، ص7-، وخلف الله، 1953، ص 58).

والحكم بن هشام المذكور، كان قد اختار ديوانًا من الكتب التي وصلت من المشرق، ضمّ شعر المقلّين من الجاهليين، منهم المسيّب بن علس، فأمر سليما، مولى ابنه المغيرة أن يغنّي أبياتا من قصيدة المسيّب، التي مطلعها (المسيب بن علَس، 1994، ص 117، عباس، عصر سيادة قرطبة، 2001م، ص49) (11):

بانَ الخَليطُ وَرُفِّعَ الخِرقُ فَفُؤادُهُ في الحَيّ مُعتَلِقُ

وكان الحكم يأمر الجواري المغنيات بأن يغنين شعرًا للفرزدق (عباس، عصر سيادة قرطبة، 2001م، ص 48). فالغناء من أكبر العوامل التي مكّنت للنماذج المشرقيّة في البيئة الأندلسيّة، "فإنّ التفاعل بين الموسيقى والشعر ذو قدرة على توجيه الشعر وتحديد قوالبه. وقد كاد اعتماد الأندلس يكون كليّا على التلاحين المشرقية" (عباس، 2001م، عصر سيادة قرطبة، ص 47،

وينظر بحث عباس، أخبار المغنين والغناء بالأندلس، 1963، والأوسي، 1977، ص52، 63-65، وعليان، 1984، ص19).

رابعاً: شعراء مشارقة:

أسهم بعض الشعراء المشارقة من العصر العبّاسيّ في صقل الذّوق الأندلسيّ على الجزالة والفحولة؛ فالبحتريّ يتمثل في شعره عمود الشعر العربي، وسهولة معانيه، مع جزالة التركيب، وعذوبة الموسيقا التي اتّسم بها شعره (ضيف، 1975، العصر العباسيّ الثاني، ص289)، التي توافق هوى الأندلسيين في حبّهم للغناء والطرب. والبحتريّ كان متقدّما لطبع في شعره لا تكلف يعيبه، وهو إمام في الشعر المطبوع عند المشارقة والأندلسيين (عليان، 1984، ص467). كما أنّه نأى عن التفلسف والغموض والغريب والتكلّف، والأندلسيّون، عموماً، أعرضوا عن التفلسف، ويشير المقري إلى هذا المعنى في النفح بقوله (المقري، 1968، 221/1): "وكلّ العلوم لها عندهم حظ واعتناء، إلا الفلسفة والتنجيم، فإنّ لهما حظّاً عظيماً عند خواصهم، ولا يُتظاهر بهما خوف العامة، فإنّه كلّما قيل فلان يقرأ الفلسفة أو يشتغل بالتنجيم أطلقت عليه العامة اسم زنديق، وقَيَّدَتْ عليه أنفاسَه، فإن زلّ في شبهة رجموه بالحجارة أو حرقوه قبل أن يصل أمره للسلطان، أو يقتله السلطان تقرّبًا لقلوب العامة، وكثيراً ما يأمر ملوكهم بإحراق كتب هذا الشأن إذا وجدت، وبذلك تقرّب المنصور بن أبي عامر لقلوبهم أوّل نهوضه وإن كان غير خالٍ من الاشتغال بذلك في الباطن على ما ذكره الحجاري، والله أعلم".

وطريقة شعراء إشبيلية وغرب الأندلس –عموما -في نظمهم للشعر تقارب طريقة البحتري التي هي طريقة في السلاسة والمتانة والعذوبة والرصانة، وهذه السمات تقارب سمات شعر البحتري (ينظر: العيس، 2000، ص65-66، وينظر في سمات شعر البحتري في مقامة ابن شرف القيرواني، ابن بسام، 1979، 207/1/4). ولقب ابن زيدون ببحتريّ المغرب لحسن ديباجة نظمه وسهولة معانيه (المقري، 1968، 566/3)، أو بعبارة أخرى شعر ابن زيدون بحتريّ الموسيقا والسّياق، سهل سائغ (عباس، 2001، عصر الطوائف والمرابطين، ص130).

وإن تأثير أبي تمّام على الذوق الأدبيّ الأندلسيّ دفع الأندلسيين إلى الإقبال على حماسته بالشرح والتعليق وتدريسها والتأليف على منوالها (عليان، 1984، ص18)؛ فالأعلم الشنتمريّ عمد إلى إعادة ترتيب الحماسة أبجديًّا، مع مراعاة تقديم الشعر الوثيق الصلة بباب الحماسة، فضلاً عن زيادة مقطوعات تخيّرها بذوقه فأعجب بها الأندلسيّون (عليان، 1984، ص113)، كما شرح الأعلم الحماسة. وابن سيده وضع الأنيق في الحماسة في ستة مجلدات (ابن بشكوال، 1994، الصلة 396/2، القفطي، 1986، 226/2، ياقوت، 1993، 330/3). وشرح الحماسة كذلك ثابت أبو الفتوح بن محمد الجرجانيّ الأندلسيّ النحويّ (-431هـ) (عليان، 1984، ص113)، وكان الغالب عليه حفظ الغريب والشّعر الجاهليّ والنفاذ في معاني الفروسيّة (ابن بسام، 1979، 124/1/4). ولعاصم بن أيّوب البلوي البطليوسي شرح على الحماسة (ينظر: فهرسة ابن خير، 1963، ص 388، عليان، 1984، ص 113).

وشعر المتنبّي والمعرّيّ–عمومًا -يميل إلى طريقة العرب، بصرف النظر عن بوادر التجديد فيه، "وهما اللذان ارتدّا إلى المعين البدويّ ومزجا ما اغترفا منه بالتجربة العميقة والآراء الفلسفية، فكان ما حققاه في هذا المجال تجديدًا من داخل المحافظة على الشكل القديم" (عباس، 2001، عصر الطوائف والمرابطين، ص 88). وشرح شعر المتنبي ابن الإفليليّ (-441هـ)، وابن سيده (-458هـ)، والأعلم الشنتمري، وابن السيد البطليوسي (-521هـ) (165). كما شرح ابن السيد البطليوسيّ سقط الزند واللزوميات (ينظر: ابن سيده، 1996، مقدمة المحققيْن، ص2-3، ضيف، 1983، عصر الدول والإمارات، ص 95، عليان، 1984، ص31، 33) (12)، وأقبل الأندلسيّون على محاكاة شعر المتنبي وعارضوه وتأثروا به؛ وممن تأثروا بطريقته من الأندلسيين ابن هانئ (-368 هـ) والرّماديّ (-403هـ)، وابن درّاج (-421هـ)، وابن زيدون (-463هـ)، وابن وهبون (-484هـ)، وابن عبدون (-529هـ) (ينظر: غومث، 1994، ص71، وعليان، 1984، ص33)، ويشير أحمد أمين إلى أن الأندلسيين أخذوا أسلوب المتنبي في قوة التعبير، وصوره، كما فعل ابن هانئ (أمين، 1962، 3/ 105).

ويُعدُّ شعره أفضل مثال للشعر المحافظ الذي سعى إلى التجديد انطلاقاً من التراث، وقد يعود تعلق الأندلسيين بشعر المتنبي -في المقام الأول -إلى نزوعه إلى المحافظة عـلى تقاليد الشّعر العربيّ،...وإضفاء السّمات الأساسيّة للشّعر القديم على العديد من قصائده، التـي بدت كأنّها صورة جديدة للشّعر الجاهليّ في القرن الرّابع الهجريّ، وذلك مما حفز العديد مـن شعراء الأندلس إلى التأثر بشعر المتنبي، فتابعوا نهج المتنبي المحافظ على تقاليد الشعر القديم، ومن أهمّ تلك التقاليد افتتاح القصائد بمطلع تقليدي، وتكرار معاني الأقدمين وصورهم (العيس، 2000، ص212-215)، أو بمعنى آخر "عودة المتنبي إلى النزعة البدويّة في الرّوح، وإلى البداوة في الأسلوب، وكانت هذه إحدى طرقه لليقظة العربيّة" (عباس، 1993، تاريخ النقد الأدبي عند

العرب، ص 355). وصرّح مصطفى عليان بأنّ سبب تأثر الأندلسيين بالمتنبي هو "أنّ شعر المتنبي إنما يحقق مذهب العرب الذي أصله القالي على نحو من الارتداد إلى المعين البدويّ في التركيب والبناء الفنيّ والتقاليد الشعريّة" (عليان، 1984، ص 31).

وكان تأثير المتنبي في الشّعر الأندلسيّ كبيرًا، وتأتي سعة تأثيره بعد الشّعر الجاهليّ، يقول غرسية غومث: "إذا استثنينا الشّعراء الجاهليين، وكانوا المثل التقليديّ الذي يحتذى في المدارس دائمًا، وعلى امتداد كل العصور، ودون أي خلاف، لتكوين الناشئة لغةً وأدباً، فإنّ أيّ شاعر فيما بعد عصر الجاهليّة، يؤثر على الأرجح، في الشّعر الغنائيّ للغرب الإسلاميّ كما أثّر فيه الشّاعر العظيم أبو الطيّب المتنبّي" (غومث، 1994، ص64-65).

وركّز غرسية على تأثر ابن هانئ بالمتنبي، ويزعم أن ابن هانئ عرف شعر المتنبي وقرأه ودرسه طويلا، وتأثر به (ينظر: غومث، 1994، ص69، 71). في حين ينفي الباحث كِرُّو تأثر ابن هانئ بالمتنبي؛ بل ويعدّ ذلك خطأ، ومحاكاة ابن هانئ للمتنبي وتقليده له في أشعاره هي تهمة باطلة؛ فإذا كانت بعض المعاني متشابهة أو متقاربة فهذا لأنّ بواعث القول وآثار الثقافة واحدة وهي الشّعر الجاهليّ. ولدى كرو – كما يقول -من الأدلّة على أن ابن هانئ لم يطّلع على ديوان المتنبي إلا في زمن متأخّر (كرو: 1984، 1984، ص 57).

وتأثر الأندلسيون بأبي العلاء المعري، شعره ونثره، وكتب ابن عبد الغفور الكلاعي رسالة "الساجعة والغريب" معارضة لرسالة "الصّاهل والشّاحج" لأبي العلاء. وعارض سقط الزند بتأليف سماه "ثمرة الألباب". كما تأثر الأندلسيون بالمبنى الشعريّ عند أبي العلاء في سقط الزند، والسّقط هذا فيه الشيء الكثير من أثر المتنبي نفسه (عباس، 2001، عصر الطوائف والمرابطين، ص 91، عليان، 1984، ص33، وينظر في معارضات الأندلسيين للمعري: أبو الرب، 2005، ص 106-107، 108-، 120-، 129-، 135-). وهذا يلقي الضوء على جانب مهم يتعلق بالتأثير المتسلسل؛ فالشّريف الرّضيّ وأبو العلاء اقتفيا آثار المتنبّي في نزعته البدويّة والمسحة الأعرابيّة، فجاء الأندلسيّون واقتفوا آثار الثلاثة، فمن تأثر بأبي العلاء أو الشريف، فهو -تلقائياً -متأثر بالمتنبي، والمتنبي أصلا نهل من معين الشعر الجاهليّ. وهذا ما دعا أحمد أمين إلى القول (أمين، 1962، 230/3): "ولئن دمغ الأدب الجاهليّ الأدب المشرقيّ، فالأدب المشرقيّ دمغ الأدب الأندلسيّ". وإن صحّ قول أحمد أمين، وأحسبه صحيحًا، فالأصحّ منه أن نقول إنّ الشّعر الجاهليّ دمغ الأدبين المشرقيّ والأندلسيّ على حدّ سواء. ولا أدلّ على شواهد التأثير المتسلسل من كتاب الذخيرة لابن بسام في نقده التاريخيّ في معرض حديثه عن المعاني وأخذها.

واتّسم شعر الشريف الرضي (-406هـ) ومهيار الدّيلميّ (-428هـ) وعبد المحسن الصّوريّ (-419هـ) بجوانب بدويّة ونسمات حجازيّة، وهم في أشعارهم أقرب إلى الاتّجاه المحافظ (عليان، 1984، تيارات النقد الأدبي، ص35). وتأثر بهم ابن خفاجة وصرّح بأنّه حاكاهم وتمثّل طريقتهم، وحذا حذوهم (ينظر: ابن خفاجة، 1960، ص6). فعلى سبيل المثال، نسج ابن خفاجة على منوال الشّريف الرّضيّ، مكثرًا من ذكر الأماكن الحجازيّة، من مثل قوله (ديوانه، ص 258، وينظر غيظان، 2023، ص31):

أَلا لَيتَ أَنفاسَ الرِياحِ النَواسِمِ	يُحَيّينَ عَنّي الواضِحاتِ المَباسِمِ
وَيَرمينَ أَكنافَ العَقيقِ بِنَظرَةٍ	تَرَدَّدُ فـي تِلكَ الرُبى وَالمَعالِمِ
وَيَلثُمنَ مابَينَ الكَثيبِ إِلى الحِمى	مَواطِئَ أَخفافِ المَطِيّ الرَواسِمِ
فَما أَنسَهُ لا أَنسَ يوما بذي النَّقى	أَطَلْنا بـه للوجدِ عَضَّ الأباهم
وَقَفنا بِهِ نَشكو وَقَد لَوَتِ النَوى	مَعاطِفَنا لَيَّ الغُصونِ النَواعِمِ

خامسًا: الجوّ السياسيّ العام، وما دار من نزاعات وحروب جعل الأندلسيين يستلهمون خصائص الأدب المشرقيّ القديم من موضوعات حربيّة وأمجاد. وشُحن التيار القديم بقوّة دافعة كلّما انتُقصت سيادة المسلمين من قبل الأعداء، أو بدافع الغيرة على الوحدة التي كانت تهدّدها عوامل الفرقة، مما أفضى إلى التوجّه نحو ميادين الأصالة انتصارًا للانتماء العربيّ والإسلاميّ. فاشتدت العناية بالشعر القديم، وبخاصة في عهد الطوائف والمرابطين، فاعتصم الأندلسيّ بطريقة العرب، ببساطتها،

ومحافظتها على القيم الأصيلة، والبداوة، ووضوح المعنى، والنفور من التكلّف والشطط في المعاني والصو، والحذلقة والتفلسف. وإذا ما أضيفت جهود القالي ومدرسته في القرن الرّابع الهجريّ، التي استمرّت بتعهد الذوق نحو طريقة العرب، هذا كله أدّى إلى النزوع نحو محاكاة أدب القوّة ومنبعه المشرق، وعلى رأسه الشعر الجاهليّ، وأدب المتنبي والمعري الذي كان يسير، في العموم، على نهج الشعر الجاهلي (ينظر: عباس، 2001، عصر الطوائف والمرابطين، ص 87-، 142، وعليان، 1984، ص111-116، وباشا، 2003، 2003، ص31، 298).

سادسًا: النقاد:

كان للنقاد أثر واضح في توجيه الذوق الأندلسيّ نحو المحافظة أو طريقة العرب، فابن عبد ربه (-328هـ) كانت ثقافته مشرقيّة، وفي أكثر آرائه كان تابعًا للمشرق، وكان يدافع كثيرًا عن الشعر الجاهليّ في عقده، بخاصة في الفصل الذي عقده بعنوان "ما عيب وليس بعيب". وابن عبد ربّه في عقده وشعره –كذلك -ينهل من الموروث الجاهليّ، وبخاصّة الشعر، الذي يعدّ أساسًا للشعر العربيّ على مرّ العصور، في مبانيه وأساليبه وأكثر معانيه. وكان ابن عبد ربّه متأثرًا في شعره هو بالشعر الجاهليّ. واهتمّ في عقده بأخبار العرب في العصر الجاهليّ، واستشهد بالشعر الجاهليّ، ونقده: بالإعجاب به، وبأساليبه الفنّيّة، والدّفاع عنه، وشرحه، والحديث عن عروضه، وعدّ الشعر الجاهليّ أساس التقويم وأصل المعاني عمومًا. (ينظر: غيظان، 2024، قيمة الشعر الجاهليّ، ص44).

وكان للعالِمَيْنِ أبي علي القالي (-356هـ) وصاعد البغداديّ (-417هـ) ذائقة نقديّة راقية، ساهمت في نشر الثقافة المشرقيّة المحافظة في الأندلس، وبخاصّة نشر الشّعر الجاهليّ وطرائقه وأساليبه في التّعبير، هذا الشعر الجاهليّ كان وما يزال الموجّه الأساس للأدباء العربِ، خاصّة الشّعراءَ، عبرَ العصورِ كلّها. ولو ذكر كتاب الأمالي للقالي لكفى به شاهدًا على منهج صاحبه المعروف بالدّقة والضبط والإتقان والتوثيق واتّساع الرّواية والحفظ، وذوقه الرّفيع في اختيار النصوص الشعريّة والنثريّة، وهو ذوق مطبوع مشبع بالقديم لا يحيد عن مذاهب العرب إلى غيره من مذاهب التجديد والتصنيع (ينظر: غيظان، 2020، ص51). وإنَّ تأثير القالي في الثقافة الأندلسيّة كان من خلال تأثير ما أدخله من الشرق إلى الأندلس من مؤلفات واختيارات (ينظر: غيظان، 2019، ص 227-241)، التي تدلّ على اتّجاهه المحافظ دلالة واضحة.

وقد ترك القالي أثرًا بعيدًا في حركة النقد الأدبيّ في القرن الخامس، التي من أبرز عناصرها النقديّة إضافة إلى أبي بكر الزبيديّ في القرن الرّابع، أبو عبيد البكريّ والأعلم الشنتمريّ وأبو محمد السيّد البطليوسيّ، وهم تلامذة للمدرسة القالية، وقد اتخذوا مذاهب الأوائل وطرائقهم مقياسًا نقديًا فيما تناولوه من الشعر. (ينظر غيظان، 2020، ص51-52).

وإنّ صاعدًا البغداديّ كان ذا ثقافة عالية بأخبار الجاهليين وأشعارهم ومعانيها؛ وكان عالمًا بالشعر ونقده، يفضل مناهج الشعراء الجاهليين في الشعر. وتتلمذ عليه كثير من العلماء الأندلسيين، مثل أبي مروان بن حيّان، وأبي الحسن عليّ بن سيدة، وابن حزم، وغيرهم. واعتمد كثير من علماء الأندلس على مرويّاته اللغويّة والأدبيّة. وساهم في نشر الشعر الجاهليّ وطرائقه في الأندلس، والشعرُ الجاهليّ يملأ صفحات كتابه "الفصوص" (ينظر: غيظان، 2020، ص 52).

ونذكر هنا ذوق الفقيه الإمام ابن عبد البرّ القرطبيّ (-463ه) المحافظ، وبخاصّة في كتابه بهجة المجالس؛ إذ أكثر من التمثّل بالشعر الجاهليّ استشهادًا، وتوثيقًا، وشرحًا، وتتبعًا للمعاني وتأصيلها، واستحسانًا، وتأثرًا؛ فـ "الشعر الجاهليّ الوارد في بهجة المجالس -بحدّ ذاته -قيمة؛ فهو المعين الذي يستقي منه الشعراء والأدباء في مختلف العصور، وتزداد قيمته لأنّ الذي تمثل بهذا الشعر ابن عبد البَرّ، العالم الجليل، وهو من علماء الحديث والفقه والسنة، وله قدره الكبير في الأندلس بل في المغرب العربي كلّه، وفي بلاد المسلمين كافّة" (ينظر غيظان، 2025، ص26).

والسرقسطيّ -في مقاماته -كثير التمثل بالأدب الجاهليّ، وبخاصة بالشعر، فيتتبع معانيه وأساليبه، وهذا يؤكّد إعجابه وتأثره بالموروث الجاهليّ نثره وشعره. وقد شاعت مقامات السرقسطي بين أوساط المعلّمين والمتعلّمين. (ينظر: غيظان والحلحولي، 2023، ص78-101).

وابن شهيد كان معجبًا بعبد الرّحمن بن أبي الفهد الذي لم يكد يبقي شعرًا جاهليًّا ولا إسلاميًّا إلا عارضه وناقضه (الحميدي، 1951، 258-259). ثم إنّ فكرة التّوابع والزّوابع في الأساس قائمة في قسم كبير منها على المعارضة للشعراء الجاهليين، والأدباء اللاحقين من شعراء وناثرين. كما اعتمد ابن شهيد المعارضة محكّاً للجودة، فهو يعتمد الطبع والبديهة مجالين من مجالات التفوق. ومع هذا الموقف المحافظ فهو يتفهم طريقة المحدثين في استخدام الفنون البديعيّة، ويطلب التوسّط والاعتدال

في استخدام التجنيس (عباس، 1993، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص484-489). ويجلّي ابن شهيد جانبًا من تطوّر الذوق الأدبيّ والميل إلى الصنعة، ودعوته إلى الاعتدال بين القديم والمحدث، في المشرق والأندلس، ومفضّلاً صريع الغواني على أبي تمام "لأنّه لبس ديباجة المحدثين على لأمة العرب"، فيقول (ابن بسام، 1979، 1/1/237-238): "وكذلك الشعراء انتقلوا عن العادة في الصّنعة بانتقال الزمان، وطلبَ كلّ ذي عصر ما يجوز فيه وتَهَشُّ له قلوب أهله، فكان من صريع الغواني، وبشّار وأبي نواس وأصحابهم في البديع ما كان من استعمال أفانينه، والزيادة في تفريع فنونه، ثم جاء أبو تمّام، فأسرف في التجنيس، وخرج عن العادة، وطاب ذلك منه، وامتثله الناس، فكلّ شعر لا يكون اليوم تجنيسًا أو ما يشبهه تَمُجّه الآذان، والتوسّط في الأمر أعدلُ، ولذلك فضّلَ أهل البصرة صريعَ الغواني على أبي تمام، لأنه لبس ديباجة المحدثين على لأمة العرب، فتركب له من الحسن بينهما ما تركب".

وابن شُهيد في شعره "خير ثمرة لمدرسة القالي التي جنحت إلى القوة والجزالة البدويّة" (عباس، 2001، عصر سيادة قرطبة، ص 266). وجمع بين الإحاطة بالمعاني وانتقاء الألفاظ وسرعة البديهة والقدرة على الارتجال (عباس، 2001، عصر سيادة قرطبة، ص 269).

أما ابن حزم فله مواقف تدلّ على تفضيله طريقة العرب المحافظة، كرأيه في أبي الأجرب جعونة، وقرنه بجرير والفرزدق، لأنّ شعره جارٍ على مذهب الأوائل لا على طريقة المحدثين. وموقفه الرافض لبعض فنون الشعر، مستندا إلى قواعد خلقية أكثر منها فنية. مبيحا الرّثاء والمدح الصادقين (ينظر: عباس، 1993، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 494). وهذا الموقف من المدح يذكرنا بموقف عمر بن الخطاب -رضي الله عنه – من شعر زهير.

وعلى العموم، ولأنّ الذوق الأندلسيّ كان يميل أكثر إلى طريقة العرب الأوائل، لذلك رفض الأدباء منهم والنقاد الاستشهاد بالموشح والزجل، كابن بسام وابن خاقان. فالزجل خاصة يتسم باللين والألفاظ السوقية.

ومع أن ابن بسام معجب بما يخترعه أبو العلاء، وسعة النفس لدى المتنبي، لكنه يستهجن إقدامهما على ألفاظ الفلاسفة وأفكارهم، كما ينتقد شعراء آخرين لأنّهم تفلسفوا في شعرهم، وخرجوا عن "رونق كلام الأعراب". ثم نجد ابن بسام يمقت الشعر حين يبتعد عن الصّدق الواقعيّ، ولا يستسيغ الغلوّ في المدح في غير وجه حق. وهو كذلك يثور على الاستعارات البعيدة والغريبة (عباس، 1993، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 512-514). وهو يحبّ المألوف الذي جرت به العادة؛ لهذا فإنّه يكره الجمع بين التعزية والمدح الكثير للمعزَّى، "وليس من عادة أئمة الشعراء المقتدى بهم الإكثارُ من مدح المعزَّى في تأبين حميمه المتوفى، وإنما يُلمّون به إلماما بعد التوفر على نُدْبَةِ مَيّتِه والإشباع في ذكر ما فُقد من خصاله ثم الكرّ على تسكين جأشه وحضهِ على التعزي اتقاء لربه، هذه طريقة فحول الشعراء" (ابن بسام، 1979، 1/2/821). ولا يعني حبّ ابن بسام للمألوف أنه لا يحب توليد المعاني أو الفنون البديعيّة التي سادت في عصره.

ولعلّ الجانب الأخلاقيّ الدينيّ لدى ابن بسام هو ما دعاه إلى نفوره من الفلسفة ومن إيراد المعاني الإلحاديّة، وتجافيه عن فنّ الهجاء عمومًا (ضيف، 1983، عصر الدول والإمارات، ص104). وموقفه هذا من الهجاء يذكر بموقف الأصمعيّ. ثم إذا كان طول النفس في القصائد من طرائق المذهب القديم، فإنّ ابن بسام يورد قصائد طويلة في ذخيرته، وفي مواطن متعددة، لابن زيدون وابن عمّار وابن مقانا الأشبوني وابن خفاجة وابن عبدون وابن وهبون والأعمى التطيلي.

ومما يدلّ على ثقافة ابن بسّام المحافظة كثرة محفوظه من الأدب القديم ومقارنة أشعار المحدثين بأشعار القدامى، وهذا ما صرّح به آنخل جنثالث بالنثيا (بالنثيا، 1955، ص295-296) فيما ينقله عن دوزي –المستشرق الهولنديّ، في معرض الموازنة بين ابن بسّام وابن خاقان -قوله: "وفي الواقع أن صدر ابن بسام حوى من العلم ما لم يبلغ مداه فيه إلا القليل: فقد ألمّ بتاريخ العرب القديم، وتمثّله تمثلاً كاملاً، وحفظ أشعارهم وأمثالهم السائرة،... وإنّ ابن بسّام ليكثر من المقارنة بين شعر المحدثين وشعر القدامى، ويشير إلى المواضع التي قلد فيها الآخرون الأولين، ويروي للقارئ طرفًا من التاريخ الذاهب، إذا دعت المناسبة إلى ذلك، ما يجعل كلامه أكثر غناء، بل ألطف وأخفّ على القلوب". وتكتظ تراجم الأدباء في الذخيرة ببيان ما أخذ هؤلاء الأدباء من المعاني المبثوثة في أشعار المشارقة وبخاصة معاني الشعر الجاهليّ والمتنبي، وبهذا يفتح ابن بسام دراسة واسعة لتحويرات أدباء الأندلس بخاصة الشعراء، لمعاني الشعر المشرقيّ وصوره وأخيلته (ضيف، 1983، عصر الدول والإمارات، ص 104).

ولعلّ ابن بسّام ينطلق في النزعة الدفاعية المفاخرة في كثير من تراجمه من أسس فنّيّة تمسّ الشّكل الأدبيّ للشّعر الأندلسيّ من

حيث ديباجة ألفاظه، ورخامة موسيقاه، ورجاحة أوزانه، وتدفق معانيه، وطول مبانيه، وجمال صوره، وبديع صيغه. كما تمسّ مضمونه من حيث دقة المعاني وعمقها، وغرابتها واستقصائها (عليان، 1984، ص301-302).

وابن خفاجة وجد طريقته أوّل الأمر في مثل شعر الشريف الرضي ومهيار الدّيلميّ وعبد المحسن الصوري. وفي بعض آرائه التي عقدها في مقدّمة ديوانه كان أقرب إلى الصدق النقديّ في موقفه المعتدل من الجزالة وأنها تصلح في أغراض دون غيرها. فالمديح يتطلب جزالة وفخامة وقوة سبك، بينما الغزل فيناسبه العذوبة والرقة، والألفاظ المرهفة الرقيقة (ينظر: ابن خفاجة، 1960، ص11-16، وعباس، 1993، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص505-507). وابن عبد الغفور الكُلاعيّ كان معجبًا بأبي الطيّب والمعرّيّ؛ لأنّهما أخذا بزمام الجزالة. وكان ينتصر للمتنبّي ويفضله على أبي تمّام في كتابه الانتصار لأبي الطيّب (عباس، 1993، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص517-518). وفي كتابه إحكام صنعة الكلام، مع أنه كان يفضل النثر على الشعر، إلا أنه استشهد للشعراء الجاهليين.

خاتمة وتوصيات

وفي الختام، وإذ جمع الباحث جلّ ما تفرّق من مادّة هذه الدّراسة من المصادر القديمة والمراجع الحديثة، وقرأ مؤلّفات بتمامها، فقد خلصت هذه الدراسة إلى أنّ الشعراءُ الأندلسيّين تمثّلوا طريقتي القديم والحديث في الشعر تمثّلاً واعيًا، بل لقد تمثّل الشاعر نفسه الطريقتين. وخلصت الدراسة -كذلك -إلى أنّ طريقة العرب الأوائل في إنشاد الشعر كانت هي السّائدة لدى الشعراء الأندلسيين، وهذه الطريقة تسير على عمود الشعر العربيّ أو تقترب كثيرًا منه، وتتبّع سمات الشّعر الجاهليّ بوجه أخصّ. وقد تمثل كثير من الشعراء الأندلسيين طريقة العرب في أغراض شعريّة معهودة، بأن قدموا لقصائدهم بالمقدّمات التي عرفها الشّعر الجاهليّ، والشعر الذي اتبع منهجه، وتأثروا بمعانيه وأساليبه. وخلصت الدّراسة -كذلك -إلى أنّ أهمّ الدوافع لأغلب الشعراء الأندلسيين في اتّباع طريقة العرب الأوائل في إنشاد أشعارهم هي: جهود الحكام، وأثر المؤدبين، والغناء المشرقيّ، والشعراء المشارقة، والجو السياسيّ العامّ، والنقاد. ويوصي الباحث الدارسين بمتابعة هذه القضية الأدبيّة النقديّة، ومباحثتها، وبالرغم من تناولها في دراسات سابقة، وفي هذه الدراسة أيضًا، إلا أنّ الكلمة الأخيرة لم تُقل فيها.

المصادر والمراجع

أوّلاً: المصادر:

- ابن الأبّار، أبو عبدالله القضاعيّ، (ت658هـ). التكملة لكتاب الصلة، في جزأين متتابعي الصفحات، (عني بنشره وصححه ووقف على طبعه السيد عزت العطار الحسيني)، مطبعة السعادة، مصر، 1375هـ-1955م، والجزء الثاني 1956م.
- ابن الأبّار، أبو عبدالله القضاعيّ، (ت658هـ). الحلة السيراء، في جزأين، (حققه وعلّق حواشيه حسين مؤنس)، ط1، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، 1963م.
- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد القرشي (284-356هـ)، كتاب الأغاني، طبعة كاملة محررة معها فهارس جامعة بإشراف وتحقيق إبراهيم الأبياري، دار الشعب، القاهرة، 1389هـ-1969م.
- الأعلم الشنتمريّ، أبو الحجاج يوسف بن سليمان (-476هـ) مقدمة شرح حماسة أبي تمام، تحقيق: علي المفضل حمودان، المجلد الأول، ط1، دار الفكر، دبي، 1413هـ، 1993م.
- ابن بسام الشنتريني، أبو الحسن علي، (ت542هـ). الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، 8 مجلدات، (تحقيق إحسان عباس)، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1399هـ -1979م.
- ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك، (ت578هـ). الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، ط2، في جزأين متتابعي الصفحات، (عُني بنشره وصححه وراجع أصله السيد عزت العطار الحسيني)، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، 1414هـ -1994م.
- البطليوسي، أبو محمد عبدالله بن محمد بن السيد (444-521هـ)، شرح المختار من لزوميات أبي العلاء المعري، (قسمان في مجلد واحد)، حققه وقدم له حامد عبد المجيد، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ط3، 1998م.

- الثعالبي النيسابوري، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، (ت429هـ). يتيمة الدّهر في محاسن أهل العصر، ط1، (شرح وتحقيق مفيد محمد قميحة)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1403هـ -1983م.
- ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى (291هـ)، قواعد الشعر، شرحه وعلق عليه محمد عبد المنعم الخفاجي، الدار المصرية اللبنانية، ط1، القاهرة، 1996م.
- ابن الحداد الأندلسيّ (-480هـ)، ديوانه، جمع وتحقيق وشرح يوسف علي طويل، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1990م.
- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد، (ت456هـ). طوق الحمامة في الألفة والأُلاف، ط1، (جمعه وحققه وشرحه عفيف نايف حاطوم)، دار صادر، بيروت، 1424هـ -2003م.
- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد، (ت456هـ). جمهرة أنساب العرب، تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف بمصر، 1382هـ -1962م.
- الحميدي، أبو عبدالله محمد بن فتوح بن عبدالله، (ت 488هـ). جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، وأسماء رواة الحديث وأهل الفقه، والأدب، وذوي النباهة والشعر، كتب تقدمته الشيخ محمد زاهد بن الحسن الكوثري، (قام بتصحيحه وتحقيقه محمد تاويت الطنجي)، نشرمكتبة الخانجي، القاهرة، 1951م.
- الحميري، أبو الوليد إسماعيل بن محمد بن عامر بن حبيب الإشبيلي (-نحو 440هـ)، البديع في وصف الربيع، ط1، حققه وكتب الدراسة وعلق عليه عبدالله عبد الرحيم عسيلان، دار المدني للطباعة والتوزيع، جدة، 1406هـ -1987م.
- ابن حيان القرطبيّ (-469هـ)، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1385هـ، 1965م.
- ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد القيسي، (ت529هـ). قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، ط1، 4ج في مجلدين، (حققه وعلق عليه حسين يوسف خريوش)، مكتبة المنار للطباعة والنشر والتوزيع، الزرقاء، الأردن، 1409هـ -1989م.
- ابن الخطيب، لسان الدين، (ت776هـ). تاريخ إسبانيا الإسلاميّة أو كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق وتعليق إ.ليفي بروفنسال، نشر مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة، 1424هـ -2004م.
- ابن خفاجة، إبراهيم، (ت533هـ). ديوانه، (تحقيق السيد مصطفى غازي)، مطابع دار المعارف، مصر، 1960م.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، (ت808هـ). مقدمة ابن خلدون، ط3، 3ج، الجزء الثالث، (مهّد لها، ونشر الفصول والفقرات الناقصة من طبعاتها وحققها وضبط كلماتها وشرحها وعلق عليها وعمل فهارسها علي عبد الواحد وافي)، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة -القاهرة، د.ت.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، (ت808هـ). تاريخ العلامة ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"، القسم الأول، المجلد الرابع، منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، لبنان، 1958م.
- ابن خير الإشبيلي، أبو بكر محمد، (ت575هـ). فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف، ط2، (وقف على نسخها وطبعها ومقابلتها على أصل محفوظ في خزانة الإسكوريال الشيخ فرنسشكة قداره زيدين وتلميذه خليان ربارة طرغوة)، 1382هـ -1963م.
- ابن دراج القسطلي، (ت421هـ). ديوانه، ط1، (حققه وعلق عليه وقدم له محمود علي مكي)، منشورات المكتب الإسلامي، دمشق، (1381هـ -1961م).
- الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن، (ت379هـ). طبقات النحويين واللغويين، ط2، (تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم)، دار المعارف، القاهرة، 1984م.

- ابن زيدون، أبو الوليد، (ت463هـ). ديوان ابن زيدون ورسائله، (شرح وتحقيق علي عبد العظيم)، دار نهضة مصر، الفجالة -القاهرة، 1376هـ -1957م.
- ابن سعيد، علي بن موسى، (ت685هـ) المغرب في حلى المغرب، ط1 (تحقيق شوقي ضيف) دار المعارف، مصر، 1953م.
- ابن سيده، علي بن إسماعيل بن سيده (398-458هـ)، شرح المشكل من شعر المتنبي، تحقيق مصطفى السقا وحامد عبد المجيد، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، 1996م.
- صاعد الأندلسي، أبو القاسم صاعد بن أحمد، (ت462هـ). طبقات الأمم، (تحقيق وتعليق حسين مؤنس)، دار المعارف، القاهرة، 1993م.
- الضبي، أبو جعفر أحمد بن يحيى، (ت599هـ). بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، ط1، جزءان، (تحقيق إبراهيم الأبياري)، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1410هـ-1989م.
- طرفة بن العبد، ديوانه، شرح الأعلم الشنتمري، وتليه طائفة من الشعر المنسوب لطرفة، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت، دار الثقافة والفنون، دولة البحرين، 2000م.
- ابن الفرضي، أبو الوليد عبدالله بن محمد بن يوسف الأزدي، (ت403هـ). تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، ط2، في جزأين، (عني بنشره وصححه ووقف على طبعه السيد عزت العطار الحسيني)، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، 1408هـ-1988م.
- القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي، (ت356هـ). كتاب الأمالي، جزءان في مجلد واحد، منشورات دار الحكمة، دمشق، د.ت.
- القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف، (ت624هـ). إنباه الرواة على أنباه النحاة، ط1، 4ج، (تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم)، دار الفكر العربي، القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1406هـ-1986م.
- ابن القوطية، (ت367هـ). تاريخ افتتاح الأندلس، ط2، (تحقيق إبراهيم الأبياري)، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، 1410هـ -1989م.
- ابن الكتاني الطبيب، أبو عبدالله، (ت420هـ). كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، ط2، (تحقيق إحسان عباس)، دار الشروق، القاهرة، 1401هـ -1981م.
- مجهول المؤلف، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، تحقيق إبراهيم الأبياري، المكتبة الأندلسية، دار الكتاب المصري، ط2، القاهرة، 1989م.
- المراكشي، محيي الدين عبد الواحد بن علي التميمي، (ت647هـ). المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ط1، (ضبطه وصححه وعلق حواشيه محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي)، مطبعة الاستقامة، 1368هـ -1949م.
- المراكشيّ، ابن عذاري المراكشي (695هـ)، البيان المغرب، في أخبار الأندلس والمغرب، (4ج)، تحقيق ومراجعة ج.س. كولان وإ. ليفي بروفنسال، ط2، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1400هـ -1980م.
- المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد، (ت421هـ). شرح ديوان الحماسة، ط1، (قسمان في مجلدين متتابعي الصفحات)، (نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون)، دار الجيل، بيروت، 1411هـ -1991م.
- المسيب بن علَس، شعر المسيب بن علس، جمعه وحققه ودرسه أنور أبو سويلم، جامعة مؤتة، ط1، 1415هـ -1994م.
- المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد، (ت1041هـ). نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، (تحقيق إحسان عباس)، 8 مجلدات، دار صادر، بيروت، 1388هـ -1968م.

- ابن هانئ الأندلسي (-362هـ)، ديوان ابن هانئ الأندلسي، شرح أنطوان نعيم، دار الجيل، بيروت، ط 1، 1416هـ-1996م.
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، (ت626هـ). معجم الأدباء، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ط1، 7ج، (تحقيق إحسان عباس)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1993م.

ثانيًا: المراجع:

- الأسد، ناصر الدين، (1988م). القيان والغناء في العصر الجاهليّ، الطبعة الثالثة، دار الجيل، بيروت ـلبنان، 1988م.
- أمين، أحمد، (1962م). ظهر الإسلام، ط 3، 4ج، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
- الأوسي، حكمت علي، (1977م). فصول في الأدب الأندلسي، ط3، القاهرة: مكتبة الخانجي.
- بالنثيا، آنخيل جنثالث، (1955م). تاريخ الفكر الأندلسي، ط1، ترجمة حسين مؤنس، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
- بيريس، هنري. (1408هـ-1988م). الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ملامحه العامة وموضوعاته الرئيسية وقيمته التوثيقية، ط1، ترجمة الطاهر أحمد مكي، القاهرة: دار المعارف.
- البيومي، محمد رجب، (1400هـ-1980م). الأدب الأندلسي بين التأثر والتأثير، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- جمانة رجب باشا، (1424هـ -2003م). الشعر الأندلسي بين طريقة العرب ومذهب المحدثين، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة حلب، حلب، سورية.
- الداية، محمد رضوان، تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، مؤسسة الرسالة، ط2 ،1401هـ -1981م.
- دياب، حامد الشافعي، الكتب والمكتبات في الأندلس، ط1، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر.
- خفاجي، محمد عبد المنعم، قصة الأدب في الأندلس، المطبعة المنيرية، القاهرة، 1956م.
- خلف الله، محمد أحمد، صاحب الأغاني أبو الفرج الأصفهاني الراوية (284 -نحو360هـ)، ط1، مكتبة نهضة مصر، 1953م.
- ريبيرا، خوليان، (د.ت). التربية الإسلامية في الأندلس، أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية، ترجمة الطاهر أحمد مكي، القاهرة: دار المعارف.
- سلامة، علي، الأدب العربيّ في الأندلس تطوره –موضوعاته -وأشهر أعلامه، الدار العربية للموسوعات، ط1، بيروت، 1989م.
- سلوم، داود، كتاب الأغاني مصادره وأسانيده، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، ع 12، حزيران 1969م، ص 178-192 المقال من صفحة 175-202.
- السمرة، محمود، القاضي الجرجاني الأديب الناقد، منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، ط1، بيروت، 1966م.
- السيوطي، الحافظ جلال الدين (911هـ)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار الفكر، القاهرة، 1979م.
- شاك، فون، (1991م). الشعر العربي في إسبانيا وصقلية، ط 1، الجزء الأول، ترجمة الطاهر أحمد مكي، القاهرة: دار المعارف.

- الشبيبي، محمد رضا، (1984م). أدب المغاربة والأندلسيين في أصوله المصرية ونصوصه العربية، ط2، بيروت: دار اقرأ للنشر والتوزيع والطباعة.
- شلبي، سعد إسماعيل، (1982م). الأصول الفنية للشعر الأندلسي -عصر الإمارة، الفجالة، مصر.
- ضيف، أحمد، (1998م). بلاغة العرب في الأندلس، ط2، سوسة، تونس: دار المعارف للطباعة والنشر.
- ضيف، شوقي، (1983م). تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات -الأندلس، ط2، القاهرة: دار المعارف.
- ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسيّ الثاني، ط2، دار المعارف، مصر، 1975م.
- ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف بمصر، القاهرة، ط7، بدون تاريخ.
- طويل، يوسف، (1991م). مدخل إلى الأدب الأندلسي، ط1، بيروت: دار الفكر اللبناني.
- عباس، إحسان، (2001م). تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة، الطبعة العربية الأولى، الإصدار الثاني، عمان، الأردن: دار الشروق للنشر والتوزيع.
- عباس، إحسان، (2001م). تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين، الطبعة العربية الأولى، الإصدار الثاني، عمان، الأردن: دار الشروق للنشر والتوزيع.
- عباس، إحسان، (1993م). تاريخ النقد الأدبي عند العرب، نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، ط1، عمان، الأردن، دار الشروق للنشر والتوزيع.
- عباس، إحسان، "أخبار المغنين والغناء بالأندلس"، مجلة الأبحاث، س 16، ج1، آذار، 1963م.
- العكش، إبراهيم علي، التربية والتعليم في الأندلس، ط1، دار عمار ودار الفيحاء، عمان، الأردن، 1986م.
- عليان، مصطفى، (1404هـ-1984م). تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- العمير، علي، مع أبي الفرج الأصفهاني في كتاب الأغاني، العرب، مج 3، ج8، أيار (مايو) 1969م، ص 705، المقال من 703-712.
- العيس، مصطفى، (1421هـ-2000م). أثر المتنبي في أعلام الشعر الأندلسي، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة حلب، حلب، سورية.
- عيسى، محمد عيسى عبد الحميد، (1982م). تاريخ التعليم في الأندلس، ط1، (في الأصل رسالة دكتوراه، جامعة مدريد)، القاهرة: دار الفكر العربي.
- غومث، إميليو غرسية غومث، مع شعراء الأندلس والمتنبي، ترجمة الطاهر أحمد مكي، نشر مكتبة وهبة، شارع الجمهورية بعابدين، مطابع سجل العرب، ط1، 1394هـ-1994م.
- غيظان ج. ع. (2025). قيمة الشعر الجاهليّ في كتاب بهجة المجالس وأنس المجالس لابن عبد البرّ القرطبي (368-463ه). مجلة علوم اللغة العربية وآدابها (4)4، 16-27، (https://doi.org/10.26389/AJSRP.G170825)
- غيظان، جمال علي، مجلة اللغة العربيّة، 2024، مج. عدد. (غيظان، ج.ع. (2024)، قيمة الشعر الجاهليّ في عقد ابن عبد ربّه وشعره. مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، (3)4، 25-45). (https://doi.org/10.26389/AJSRP.L110724).
- غيظان، جمال علي محمود & الحلحولي، محمود أحمد محمد. (2023). تمثلات الشعر الجاهلي في المقامات اللزومية للسرقسطي. مجلة جامعة الزيتونة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج. 4، ع. 2، ص. 78-101.

.(https://search.emarefa.net/detail/BIM-1630969

- غيظان، جمال علي، 2023م، أثر الشعر الجاهليّ في الأدب الأندلسيّ من القرن الرابع الهجريّ إلى منتصف السادس، ط1، القدس، دار الجندي للنشر والتوزيع.
- غيظان، جمال علي محمود. (2020). أثر عالمين بغداديين في نشر الشعر الجاهليّ وطرائقه في الأندلس، مجلة مجمع اللّغة العربيّة الأردنّيّ. مجلد 44. ع.100. ص17-77).
- غيظان، جمال علي محمود. (2019). رواية الأندلسيين للشعر الجاهلي ومصادره. دراسات: العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج. 46، ع. (1 sup) ، ص. 227-241. (https://search.emarefa.net/detail/BIM-1178520
- كرو، أبو القاسم محمد، ابن هانئ الأندلسي متنبي المغرب، الدار العربية للكتاب، 1984م.
- نجا، أشرف محمود، قصيدة المديح في الأندلس قضاياها الموضوعية والفنية عصر الطوائف، ط2، دار المعرفة الجامعيّة، مصر، 1998م.
- هناء أبو الرب، (2005م). أثر أبي العلاء المعري في الأدب الأندلسي، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

حواشي البحث

(1) وعباس هذا "كان لا يقدم من المشرق قادم إلا كشفه عمّن نجم في الشعر بعد ابن هَرْمة"، الزبيدي، 1984، ص262.
(2) صرف النوى كناية عن الخطوب والأحداث. النيق قمة الجبل.
(3) يورد الأوسي للغزال شعرا في آخر كتابه، ومن هذا الشعر ما لا يختلف كثيرًا عن غزل امرئ القيس، ص214، وما يشبه معاني الجاهليين بشكل عام، ينظر: ص 217، 224، 233، 234).
(4) ويعرف ثعلب جزالة اللفظ بقوله: "فما لم يكن بالمغرب المستغلق البدوي، ولا السفساف العامي، ولكن ما اشتد أسره، وسهل لفظه، ونأى واستصعب على غير المطبوعين مرامه، وتوهم إمكانه"، ثعلب، 1996، قواعد الشعر، ص59).
(5) الرعابيب جمع رعبوبة: الجارية الناعمة الحسناء، المحاريب جمع محراب وهو الشجاع كثير الحروب، يعبوب فرس كثير الجري، وجنَبَه قاده إلى جنبه، "هم جنبوا..." أي قد أصبح قلبي مطيعا لهم كما يطيع الفرس المجنوب لمن يقوده، ويذهب معه حيثما ذهب. الطلح شجر، الشواجن جمع شاجنة الوادي الكثير النبات الحسن، السراحيب جمع سرحوب وهي الفرس الطويلة).
(6) الشؤون: الدموع. العواسف التي تسير في الصحراء على غير هدى. اليهماء: المفازة التي لا ماء فيها ولا علامات يهتدى بها. الأخسّة جمع خسيسة ويقال جاوزت الناقة خسيستها إذا ألقت ثنيتها في السنة السّادسة. خصف الجلد مظاهرة بعضه على بعض وخرزه. الغرور جمع غَر وهو للرداء والجلد تثنّيه وغضونه.
(7) المخايل السحب توحي بالمطر. صفرت خلت. وطاب سقاء اللبن. وصفر وطابه كناية عن الموت.
(8) تهادى تتمايل. الأيم الحية. يعفو يمحو. الأثور والآثار جمع أثر بقية الشيء. مرقوم العطافين مخطط الإزار على الجانبين. ذابل متبختر. ويروى ذائل، أي مسرع، يعني أنها أسرعت إلى الموعد مثل انسياب الحية.
(9) وكان الحكم نفسه يطلب من العلماء للسماع عليهم والأخذ عنهم، خاصة من سمت درجته في العلم والرواية، كالقاضي يحيى بن عبدالله بن يحيى الليثي (-367هـ) وكان ابن الفرضي من تلامذته. ينظر ابن حيان القرطبي، 1965، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، ص 216-217.
(10) مع اختلاف في رواية البيت الأول للنابغة الجعدي في شعره. وكلمة "شماسا" موجودة في قصيدة النابغة في قافية ليست بعيدة عن البيت الثاني، ما يدلّ على اطّلاع ابن حدّاد على القصيدة كاملة. وتجيب قبيلة من كندة.
(11) والخِرَق جمع خرقة أي البيوت المخرقة. ويروى الخُرُق جمع الخريق وهو المطمئن من الأرض، أي تجاوزوا الخرق إلى الجبال.
(12) ينظر في هذه الشروح ومؤلفات أصحابها، علي بن إسماعيل بن سيده (398-458هـ)، شرح المشكل من شعر المتنبي، تحقيق مصطفى السقا وحامد عبد المجيد، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، 1996م، مقدمة المحققين ص 2-3، ومن مؤلفات ابن سيده شرح الحماسة، شرح إصلاح المنطق، الوافي في علم القوافي، والمحكم والمخصص، وما وصلنا منها شرح المشكل والمحكم والمخصص، مقدمة المحققين ص 11-12، وكان الشيخ محمد حسن آل ياسين حقق الكتاب بعنوان "شرح مشكل أبيات المتنبي، دار الطليعة للطباعة والنشر، باريس، ط1، د.ت. وينظر أبو محمد عبدالله بن محمد بن السيد البطليوسي (444-521هـ)، شرح المختار من لزوميات أبي العلاء المعري، (قسمان في مجلد واحد)، حققه وقدم له حامد عبد المجيد، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ط3، 1998م، مقدمة المحقق، ص 15، 14-21، وللبطليوسي الاقتضاب في شرح أدب الكتاب لابن قتيبة، وطبع ببيروت سنة 1901م، وحققه مصطفى السقا وحامد عبد المجيد، مطبعة دار الكتب المصرية، طبعة ممتازة، سنة 1996م، ص 33.